معجزات الأنبياء

الكاتبة
منى عبد القادر
الصحفية بالأهرام

الطبعة الثانية

معجزات الأنبياء

موسى عليه السلام - عيسى عليه السلام
محمد صلى الله عليه وسلم

الجزء الأول

منى حسنين عبد القادر

الطبعة الثانية

يطلب
من مكتبات الأهرام ودار المعارف

الإهـــداء

إلى روح أبي الطاهرة

أهدي هذا الكتاب

منى حسنين عبد القادر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم . تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــة

أمـر اللـه سبحانه وتعـالى جميـع المؤمنيـن بالإيمـان باللـه ورسله وكتبه خاصة أهل الكتاب . ذلك لأنهم مؤمنين بمـا بيـن أيديهم مفصـلا . فـإذا دخلـوا فـى الإسـلام وآمنـوا بـه كـان لهـم الأجر على ذلك مرتين .

وهناك الكثير مـن الآيـات الكريمـة الدالـة علـى أمـر جميـع المؤمنين بالإيمان بالله ورسله وكتبه . فقال تعالى :

﴿ آمن الرسول بما أنـزل إليـه من ربـه والمؤمنـون ، كل آمن بـالله وملائكتـه وكتبـه ورسله ، لا نـفرق بيـن أحد من رسله ﴾ .

وقال الله تعالى :

﴿ والذين آمنوا بـالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم ، أولئك سوف نؤتيهم أجورهم ﴾

﴿ صدق الله العظيم ﴾ .

وسوف نتناول بمشيئة الله ، كل من الرسل على حدة من حيث المعجزة التى وهبها الله لهم . ولتكون دليلا واضحا على أن الله قد أرسله . فلقد أنزل الله سبحانه وتعالى ، ثلاثة كتب سماوية على موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فأنزل سبحانه وتعالى **التوراة** على **موسى بن عمران** .

والإنجيل على **عيسى بن مريم** .

والقرآن الكريم على **محمد بن عبد الله** .

وكان محمد صلى الله عليه وسلم ، يحفظ التوراة والإنجيل ، ولكل نبى من الأنبياء الثلاثة ، المعجزات الخارقة التى منحها لهم الله عز وجل .

فلقد كانت معجزة رسول بنى إسرائيل موسى عليه السلام ، أن يصور من الطين شكل الطير ، ثم ينفخ فيه فيطير عيانا بإذن الله الذى جعل له المعجزة التى تدل على أن الله أرسله . فهو الذى يبصر نهارا ، ولا يبصر ليلا .

وقد قيل العكس ، وقيل هو الأعشى والأعمش ، وقيل هو الذى يولد أعمى ، والأبرص وهو أشبه لأنه أبلغ فى المعجزة ، وأقوى فى التحدى ، والأبرص معروف وأحيا الموتى بإذن الله .

وهكذا كانت معجزة موسى عليه السلام ، هى السحر وتعظيم السحرة فبعثه الله سبحانه وتعالى بمعجزة بهرت الأبصار ، وحيرت كل سحار ، فلما أيقنوا أنها من عند العظيم الجبار ، انقادوا للإسلام وصاروا من الأبرار .

وأما عيسى عليه السلام ، فلقد بعث فى زمن الأطباء ، وأصحاب علم الطبيعة ، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه ، إلا أن يكون مؤيدا من الذى شرع الشريعة ، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد ، أو على مداواة الأكمه والأبرص ، وبعث من هو فى قبره .... ؟ .

بينما محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله فى زمن الفصحاء والبلغاء وأعظم الشعراء ، فآتاهم بمعجزة المعجزات ألا وهى أغلى وأحلى الكلام ... إنها معجزة القرآن الكريم .

أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم بكتاب من الله عز وجل .

لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله ، لم يستطيعوا أبدا ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، وذلك لأن كلام الرب لا يشبهه كلام الخلق أبدا .

وكانت معجزة القرآن الكريم هى معجزة الإسلام " الدين الذى خاطب العقل بالمنطق " مما جعل دعوة رسوله إليه شاقة وعسيرة ، إلى أن انتشر الإسلام ، بالحجة والعقل والمنطق . وفى هذا قمة الإعجاز .

يتضح لنا أن الله سبحانه وتعالى ، قد بعث كل نبى من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه .

وصلاة الله وسلامه على محمد وكل من سبقه من الرسل ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ووفقنا الله جميعا لما فيه الخير ، اللهم آمين .

والله ولى التوفيق

منى حسنين عبدالقادر

فى أول شعبان سنة ١٤٠٣هـ

موسى عليه السلام

صاحب معجزة العصا واليد
والذى كلمه الله دون وسيط

مولده ونشأته

ولد موسى عليه السلام فى ظروف عصيبة ومحنة قاسية ، فلقد ولد فى عهد فرعون مصر الذى تكبر فيها وتجبر ، وجعل أهلها طوائف ، يستضعف طائفة منها ، فيذبح أبناءهم ، ويستبقى نساءهم فكان فرعون من المفسدين .

وكان فى ذلك الوقت بنو اسرائيل ، هم المقصودون بالاستئصال ، وقد أراد الله سبحانه وتعالى لهؤلاء المستضعفين أن يجعلهم مقدمين فى أمر الدين ، ويجعلهم الوارثين لملك فرعون ، ويمكن لهم فى الأرض بمصر والشام ، ويرى فرعون وقومه منهم ما كانوا يتوقعون ، أكثر فرعون من قتل ذكور بنى اسرائيل ، مما جعل القبط يخافون من أن يفنى بنو إسرائيل ، فقالوا لفرعون : إن استمر هذا

الحال بأن يموت شيوخهم وعلماؤهم ، فلا يمكن أن يقوم نساؤهم بما يقوم رجالهم من أعمال .

ولما سمع فرعون هذا القول ، أمر بقتل الولدان عاما وتركهم عاما . ولقد ولد هارون عليه السلام فى السنة التى يتركون فيها الولدان وولد موسى عليه السلام فى السنة التى يقتلون فيها الولدان ، وكان لفرعون أناس موكلون بذلك وقوابل يدرن على النساء ، فمن رأينها قد حملت أخذن اسمها ، وحين وقت ولادتها ، إن ولدت المرأة جارية تركنها وذهبن ، وإن ولدت غلاما دخل أولئك الذباحون فقتلوه ومضوا ... لعنهم الله ، ولما حملت أم موسى به ، لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها ، ولم تفطن لها الدايات .

ولما وضعته ذكرا ، ضاقت به ذرعا وخافت عليه خوفا شديدا ، وأحبته حبا جما .. وكان موسى عليه السلام لا يراه أحد إلا أحبه ، قال تعالى: ﴿ **وألقيت عليك محبة منى** ﴾ (١) . فلما ضاقت ذرعا به ألهمت فى سرها وألقى فى خلدها ، ونفث فى روعها ، كما قال الله تعالى :

﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه**

---

(١) سورة طه آية ٣٩ .

فألقيه في اليم ولا تخافي ، ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ (١) .

ولقد كانت دار أم موسى على حافة النيل ، فاتخذت تابوتا ، ومهدت فيه مهدا ، وجعلت ترضع ولدها ، فاذا دخل عليها أحد ممن تخافه جعلته في ذلك التابوت ، وسيرته في البحر ، وربطته بحبل من عندها .

وذات يوم دخل عليها من تخافه ، فذهبت فوضعته في ذلك التابوت وأرسلته في البحر ولم تربطه ، فذهب التابوت مع الماء حتى مر به على دار فرعون ... عندئذ التقطته الجوارى ، فحملنه ، وذهبن به إلى امرأة فرعون ، ولا يدرين ما فيه ، ذلك لأنهن خشين أن يفتحنه دونها .

كشفت امرأة فرعون عنه ، فاذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه ، فأوقع الله سبحانه وتعالى محبته في قلبها حينما نظرت إليه ، وذلك لسعادتها وما أراد الله لها من كرامة ولزوجها من شقاوة ولهذا قال تعالى :

﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ﴾ .

---

(١) الآية ٧ من سورة القصص .

ولما رآه فرعون ، هم بقتله خوفا من أن يكون من بنى إسرائيل ، فجعلت امرأته (آسيه بنت مزاحم) تحاجى عنه ، وتحببه إلى فرعون ـ فقالت : قرة عين لى ولك .

– فقال : اما لك فنعم واما لى فلا (فكان كذلك) وهداها الله به وأهلكه الله على يديه ، وأسكنها الله الجنة بسببه ، واتخذته ولدا ، وتبنته لأنها ـ لم يكن لها من فرعون ولد . اشتد الحزن بأم موسى على فراق ولدها ، لولا أن الله سبحانه وتعالى ثبتها وصبرها ، قال تعالى :

﴿ لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ﴾(١)

وكانت لها ابنة تسمى " قصيه " ، فأخبرتها أن تتبع أثر أخاها وكانت قصيه كبيرة ، تعى ما يقال لها ، فخرجت الابنة لذلك متتبعة آثار موسى ، وشاهدته من بعيد .

ولما استقر موسى بدار فرعون وأحبته امرأة الملك ، عرضوا عليه المراضع اللائى بدارهم ، فلم يقبل موسى منهن ثديا وأبى أن يقبل شيئا من ذلك .

---

(١) من سورة القصص .

خرجوا به إلى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته ، فلما رأته قصية بأيديهم عرفته ولم تظهر ذلك ، ولم يشعر بها أحد ، وقال الله تعالى :

﴿ وحرمنا عليه المراضع من قبل ﴾ (١) .

أى إعجاز هذا ... إنه تحريم قدرى ، وذلك لكرامة الله له فلقد صانه عز وجل عن أن يرتضع غير ثدى أمه ، ولأن الله سبحانه وتعالى قد جعل ذلك سببا لرجوعه إلى أمه لترضعه وهى آمنه بعد ما كانت خائفه ، سبحان من يقول للشىء كن فيكون .

ولما رأتهم قصية حائرين فيمن يرضعه قالت : هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ، وهم له ناصحون ... فلما قالت ذلك أخذوها وشكوا فى أمرها ، وقالوا لها وما يدريك نصحهم له وشفقتهم عليه ؟ فأرسلوها بعد أن قالت لهم ردا على سؤالهم ان من يكفلونه سيكون نصحهم له وشفقتهم عليه رغبة منهم فى ظئورة الملك ورجاء منفعته ، وبذلك خلصت من أذاهم ... فذهبوا معها إلى منزلهم ، فدخلوا به على أمه فأعطته ثديها ، فالتقمه ففرحوا بذلك فرحا شديدا، وذهبت البشرى إلى امرأة

---

(١) من سورة القصص .

الملك فاستدعت أم موسى وأحسنت إليها ، وأعطتها عطاء جزيلا ، فما كانت تعرف انها أمه الحقيقية ، ثم سألتها آسيه ، أن تقيم عندها فترضعه ، فأبت عليها ، وقالت " إن لى بعلا وأولادا ، ولا أقدر على المقام عندك ، ولكن إن أحببت أن أرضعه فى بيتى فعلت " . فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك ، وأجرت عليها النفقة والكساوى والإحسان الجزيل .

سعادة غامرة ... وأى سعادة هذه ، أن ترجع أم موسى بولدها راضية مرضية .. آمنة من بعد خوف ، فى عز وجاه ، ورزق كثير ولهذا جاء فى الحديث " مثل الذى يعمل ويحتسب فى صنعته الخير ، كمثل أم موسى ، ترضع ولدها ، وتأخذ أجرها " .

ولم يكن بين الشدة والفرج سوى القليل ، يوم وليلة ، أو نحوه والله تعالى يعلم .. فسبحانه من بيده الأمر ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، الذى يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجا وبعد كل ضيق مخرجا ولهذا قال الله تعالى :

﴿ فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ﴾ (١) .

---

(١) من سورة القصص .

حينئذ تحققت أم موسى برده اليها ، أنـه سيكون رسـولا من المرسلين ، فعاملته فى تربيته ما يناسبه طبعا وشـرعا كمـا قال تعالى :

﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ (١) .

إن اللـه سبحانه وتعـالى محمـود علـى أفعالــه وعواقبهـا المحمودة فربما يقع الأمر كريها إلى النفوس وعاقبتـه محمـودة فى نفس الأمر كما قال تعالى :

﴿ وعسى أن تكرهـوا شـيئا وهـو خير لكم ، وعسى أن تحبـوا شيئا وهو شر لكم ﴾ (٢) .

﴿ وعسى ان تكرهوا شـيئا ويجعـل اللـه فيـه خـيرا كثيرا ﴾ (٣) .

وفى مصر أعظـم دولـة فـى الأرض فـى ذلـك العصـر ، تلقى موسى عليه السلام فــى بيت فرعون التربيـة علـى أيدى أعظم المربين وتلقى التعليم علـى أيـدى أقـوى المدرسيـن ، فلقد

---

(١) من سورة القصص .
(٢) من سورة البقرة آية ٢١٦ .
(٣) من سورة النساء آية ١٩ .

كان فرعون أقوى ملوك الارض .

كبر موسى فى بيت فرعون ، فتعلم الحساب والهندسة والفلك والكيمياء ، والطبيعة واللغات ، وكان لا يؤمن بما يقال فى حصة الدين عن أن فرعون من الآلهة ، فكان يسخر من هذا القول لأنه يعيش مع فرعون ، وهو أول من يعلم أنه إنسان ظالم ، وكان موسى يعلم انه من بنى إسرائيل ، وليس ابنا لفرعون ، وكان يرى اضطهاد رجال فرعون وأتباعه لبنى إسرائيل ، ولما كبر موسى وبلغ أشده بدأت مرحلة الشباب .

شبابه

لما كبر موسى وبلغ أشده ، بينما كان يتمشى داخل المدينة ، وجد رجلا من أتباع فرعون ، وهو يقتتل مع رجل من بنى إسرائيل ولما استغاث به الرجل الضعيف ، تدخل موسى ودفع الرجل الظالم فقتله دون أن يقصد ذلك ، فلقد كانت له مفاجأة ، فقال موسى لنفسه : هذا من عمل الشيطان ، إنه عدو مضل مبين ، ودعا موسى ربه فقال : " رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى " فغفر الله له إنه هو الغفور الرحيم .

أصبح موسى خائفا ، فلقد اندفع إلى نجدة إسرائيلى فقتل المصرى دون قصد ، وهو ما يعد ضربا أفضى إلى موت من الناحية الجنائية .

أخذ موسى عليه السلام وعدا على نفسه ألا يتدخل بعد ذلك بين المجرمين والمشاغبين فى المشاجرات ليدافع عن أحد من قومه .

وأثناء سيره بالمدينة فوجىء موسى بالرجل الذى أنقذه بالأمس يستغيث به اليوم ويناديه لإنقاذه ، فلقد كان الرجل الاسرائيلى مشتبكا فى عراك مع أحد المصريين ... حينئذ أدرك موسى أن هذا الاسرائيلى مشاغب يهوى المشاجرة ، وصرخ موسى فى الإسرائيلى يعنفه قائلا : **إنك لغوى مبين .**

قال موسى كلمته واندفع نحوهما يريد البطش بالمصرى ، فاعتقد الإسرائيلى أن موسى سيبطش به هو ... دفعه الخوف من موسى إلى استرحامه صارخا :

يا موسى: أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا فى الأرض ، وما تريد أن تكون من المصلحين .

وما أن نزلت الكلمات من الاسرائيلى علـى موسـى حتـى توقف فسكت عنه الغضب ، وتذكر فعلتـه بـالأمس وكيـف استغفر وتاب ووعد ألا يكون ظهيرا للمجرمين .

استدار موسى عائدا ، ومضى وهو يستغفر ربـه ، ولمـا اكتشف المصرى الذى كان يتشـاجر مع الإسرائيلى فـى اليوم التالى أن الذى قتل المصـرى بـالأمس هـو موسـى ، طـار إلـى رجال الأمن وأخبرهم بأن موسى هو قاتل المصرى الذى كانوا يبحثون عن قاتله ، وفشلو فى العثور عليـه ... وبذلـك انكشـف سر موسى وظهر أمره .

رحيل موسى من مصر

جاء رجل لموسـى يخبره أن آل فرعون يـأتمرون عليـه فلما علم ذلك خرج عليه السلام مـن مصـر وحـده ، وكـان فـى رفاهية ونعمة . ورياسة فقال " رب نجنى مـن القوم الظـالمين أى من فرعون وملإه فقيل أن الله سبحانه وتعالى بعث له ملكـا على فرس فأرشده إلى الطريق .. (ولمـا توجـه تلقـاء مدين) أخذ طريقا سالكا بينا فرح بذلك وقال : " عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل " أى إلـى الطريـق الأقـوم ، ففعـل اللـه بـه ذلـك وهداه إلى الطريق المستقيم فى الدنيـا والآخـرة ، فجعلـه هاديـا

مهديا ، ولما ورد ماء مدين وجد عليه جماعة كبيرة يسقون مواشيهم ، ووجدوا أسفل منهم امرأتين تمنعان أغنامهما ان ترد الماء ، فسألهما عن شأنهما ، فقالتا : إننا لا نسقى حتى ينصرف الرعاة وأبونا شيخ كبير ، فتولى هو سقى غنمهما ثم انصرف ، فما لبث أن جاءته إحداهما تمشى على استحياء فقالت له :

" إن ابى يدعوك ليعطيك أجر ما سقيت لنا " .

فلما جاءه موسى عليه السلام وأخبره بخبره قال الشيخ الكبير وهو شعيب :" **لا تخف نجوت من القوم الظالمين**" .

فقالت إحداهما : يا أبت إستأجره ، إن خير العمال القوى الأمين وهو موصوف بهاتين الصفتين ، فعرض أبوهما عليه أن يزوجه إحدى إبنتيه على أن يؤجره ثمانى سنين ، فان أتمها عشرا كان ذلك من فضله .

قبل موسى الشرط وعاهد الشيخ على الوفاء بالعهد ، ولما أدى موسى المدة التى اشترطها عليه شعيب سار بزوجته نحو الجبل .

نداء الله لموسى

لما سار موسى بزوجته نحو الجبل رأيا فى الجانب الأيمن منه نارا ، فقال لها : امكثى ، إنى رأيت نارا لعلى آتيك منها بخبر عن الطريق (لانه كان قد تاه عن الطريق) ، أو بشعلة من النار لنستدفىء بها .

نظر أهل موسى إلى النار التى يشير اليها ، فلم يروا شيئا ، ولكنهم أطاعوه ، وجلسوا ينتظرونه .

تحرك موسى نحو النار ، سار مسرعا ليدفىء نفسه ويده اليمنى تمسك عصاه ... جسده مبلل من المطر ... أخذ يسير ويسير إلى أن وصل إلى واد يسمى طوى .. لم يكن فى هذا الوادى برد ولا رياح .. ولكن سكون وصمت عظيم ..

ما كاد موسى يقترب من النار حتى نودى :

﴿ أن بورك من في النار ومن حولها ، وسبحان الله رب العالمين ﴾ (١) .

---

(١) من الآية ٨ سورة النمل مكية .

ارتعش موسى وتوقف عن الحركة ، كـان الصـوت يـأتى من كل مكان ليس من مكان محدد ... نظـر موسـى إلـى النـار وهو يرتعـش ورأى فـى النـار شـجرة خضـراء ، كلمـا اشـتدت النـار كلمـا اشـتدت خضـرة الشـجرة دون أن تحـترق .. كـانت الشجرة فى جبل غربى عن يمينه ، وكان الوادى الذى يقف فيه هو ، وادى طوى .. وضع موسى يديـه علـى عينيـه مـن شـدة النور خوفا على بصره .. سأل نفسه نار أم نور .. ؟ !

ناداه الله عز وجل فارتجت الأرض بالخشوع والرهبة :

" **يا موسى** " (١) .

رفع موسى رأسه وقال : نعم .

قال الله عز وجل :

" **انى انا ربك** " (٢) .

ازداد إرتعاش موسى وقال :

" **نعم يا رب** " .

قال الله عز وجل :

" **فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى** " (٣) .

---

(١) الآية ١١ سورة طه مكية .
(٢) الآية ١٢ سورة طه مكية .
(٣) من الآية ١٢ سورة طه مكية .

انحنى موسى راكعا وجسده كله ينتفض .. وخلع نعليه .
عاد سبحانه وتعالى يقول :

" وانا اخترتك فاستمع لما يوحى ، إننى أنا الله لا إله إلا أنا ، فاعبدنى ، وأقم الصلاة لذكرى . إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها . واتبع هواه فتردى " (١) .

أخذ موسى يتلقى الوحى بجسد منتفض .. مستمعا إلى الله سبحانه وتعالى وهو يخاطبه فقال تعالى :

﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ؟ ﴾ (٢) .

وكانت الحكمة الإلهية لله عز وجل وهو يسأل موسى وهو يراه ، ويعرف أكثر منه أنه يمسك بعصاه .

أجاب موسى وصوته يرتعش :

﴿ هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ، ولى فيها مآرب أخرى ﴾ (٣) .

---

(١) الآيات ١٣ : ١٦ من سورة طه مكية .
(٢) الآية ١٧ من سورة طه مكية .
(٣) من الآية ١٨ سورة طه مكية .

قال الله عز وجل :

﴿ **ألقها يا موسى** ﴾ [١] .

رمى موسى العصا من يده وهو مندهش ، وتحولت العصا بقدرة الخالق سبحانه وتعالى فجأة إلى ثعبان عظيم الحجم ، هائل الجسم .. راح الثعبان يتحرك بسرعة ، أحس موسى ببدنه يتزلزل وأخذ يجرى خوفا وفزعا ، ولم يكمل خطوتين حتى ناداه الله .

﴿ **يا موسى : لا تخف إنى لا يخاف لدى المرسلون** ﴾ [٢] .

﴿ **أقبل ولا تخف إنك من الآمنين** ﴾ [٣] .

عاد موسى يستدير ويقف ..

لم تزل العصا تتحرك ... لم تزل الحية تتحرك .

قال الله سبحانه وتعالى لموسى :

﴿ **خذها ولا تخف ، سنعيدها سيرتها الأولى** ﴾ [٤] .

---

(١) من الآية ١٩ سورة طه مكية .

(٢) من الآية ١٠ سورة النمل .

(٣) من الآية ٣١ من سورة القصص .

(٤) من الآية ٢١ سورة طه .

مد موسى يده للحية وهى ترتعش .. فما كاد يلمسها حتى تحولت الحية فى يده إلى عصا .

عاد الله سبحانه وتعالى يأمره :

﴿ اسلك يدك فى جيبك، تخرج بيضاء من غير سوء، واضمم اليك جناحك من الرهب ﴾ (١) .

وضع موسى يده فى جيبه وأخرجها ، فاذا هى بيضاء تتلألا من غير آفة ، ولما زاد خوف موسى ، فعل كما أمره الله فوضع يده على قلبه ، فذهب خوفه تماما ، فاستراح واطمأن وسكت .. وكان بعد هاتين المعجزتين معجزة العصا ، ومعجزة اليد أصدر الله أمره إلى موسى أن يذهب إلى فرعون ليدعوه إلى الله برفق ولين ، ويأمره أن يخرج بنى إسرائيل من مصر .

أبدى موسى خوفه من فرعون ، قال إنه قتل منهم نفسا فخاف أن يقتلوه .

توسل موسى إلى الله عز وجل أن يرسل معه أخاه

---

(١) من الآية ٣٢ سورة القصص مكية .

هارون ... افهم الله سبحانه وتعالى موسى أنه هو الغالب بإذن الله وطمأنه أنه سوف يكون معه يسمع ويرى ، وأن فرعون لن يمسسهم بسوء رغم قسوته وتجبره .

دعا موسى ربه وابتهل أن يشرح صدره وييسر أمره ويمنحه القدرة على الدعوة إليه .

أجاب الله سبحانه وتعالى لسؤاله .. لقد اختار الله عز وجل موسى عليه السلام واصطنعه لنفسه " **يا موسى .. واصطنعتك لنفسي** " (١) .

لقد كانت قمة من قمم التشريف لم يبلغها أحد فى ذلك الزمان البعيد غير موسى عليه الصلاة والسلام وبعد أن اصطفاه الله عز وجل واختاره رسولا إلى فرعون ، رحل موسى بأهله قاصدا مصر .

---

(١) الآية ٤١ من سورة طه مكية .

العودة إلى مصر

انتهت أيام الراحة ، وجاءت الأوقات الصعبة ، سيحمل موسى أمانة الحق ليواجه بها بطش أعظم الجبابرة ، وهو يعلم أن فرعون طاغية مصر ، فلن يسلمه بنى اسرائيل بغير صراع ، يعلم انه سيقف من دعوته موقف الإنكار والكبرياء والتجاهل.

لقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى عليه السلام ، أن فرعون لن يؤمن ، فليدعه موسى وشأنه . وليركز على إطلاق سراح بنى إسرائيل ، والكف عن تعذيبهم ، فهذه هى المهمة المحددة لموسى من الله عز وجل .

إن فرعون يعذب بنى اسرائيل ويستعبدهم ، ويكلفهم من الأعمال مالا طاقة لهم به ... يستحيى نساءهم ، ويذبح أبناءهم ، فهو يتصرف فيهم كما لو كانوا ملكا خاصا به . ملكا ورثه مع ملك مصر .

بداية الدعـوة

خرج موسى عليه السلام لمقابلة فرعون كما أمره الله سبحانه وتعالى ..

واجهه برفق ولين ، فحدثه عن رحمة الله ... حدثه عن جنة الخلد ... حدثه عن وجوب توحيد وعبادة الرحمن .

حاول موسى أن يوقظ الحس الانسانى لدى فرعون بأنه بتقوى الله وعبادته وتوحيده يستطيع أن يملك الجنة مثلما يمتلك مصر .

نظر فرعون إلى موسى هازئا وساخرا ، فلقد اعتبر فرعون حديث موسى له جنونا ، وتجرأ على مقامه السامى ... ثم رفع يده وتحدث :

- ماذا تريد : قل : ماذا تريد واختصر ؟
- قال موسى : أريد أن ترسل معنا بنى اسرائيل .
- سأل فرعون : بأى صفة أرسلهم معك ، وهم عبادى.
- قال موسى : إنهم عباد الله رب العالمين .

- تساءل فرعون : ألست موسى الذى التقطناه من النيل طفلا ، لا حول له ولا قوة ، ألست موسى الذى ربيناه فى هذا القصر وأكل من طعامنا وشرب من مائنا ، وأغرقه خيرنا ، وأحسنا اليه ... ألست موسى القاتل ، قاتل الرجل المصرى ... ألا يقولون أن القتل كفر ... كنت كافرا وأنت تقتل إذن ... ؟

فهم موسى أن فرعون يذكره بماضيه ، وبإحسانه إليه بأنه رباه وأحسن إليه ... أحس أنه يهدده بحادث القتل القديم . أفهم موسى فرعون أنه لم يكن كافرا حينما قتل المصرى ، لكنه كان ضالا لم يوحى له الله بعد .. أفهمه أنه ما كان يقصد قتل المصرى ... فلقد قتله خطأ ، ولذلك فر من مصر لكنه خاف انتقامهم منه .

أخبره أن الله سبحانه وتعالى وهبه حكما وجعله من المرسلين وقال له (انا رسول رب العالمين) .

﴿ قال فرعون : وما رب العالمين ﴾ (١) .

---

(١) سورة الشعراء مكية آية ٢٣ .

قال موسى :

﴿ **رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين** ﴾ (١) .

التفت فرعون لمن حوله وقال هازئا :

﴿ **ألا تستمعون** ﴾ (٢) .

قال موسى :

﴿ **ربكم ورب آبائكم الأولين** ﴾ (٣) .

قال فرعون مخاطبا من جاءوا مع موسى من بنى إسرائيل :

" **إن رسولكم الذى أرسل إليكم مجنون** " (٤) .

عاد موسى ليكمل :

﴿ **رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون** ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الشعراء مكية آية ٢٤ .
(٢) سورة الشعراء مكية آية ٢٥ .
(٣) سورة الشعراء مكية آية ٢٦ .
(٤) سورة الشعراء مكية آية ٢٧ .
(٥) الآية ٢٨ من سورة الشعراء مكية .

وكان الحوار بين موسى وفرعون يعبر عن الصراع بين الخير والشر . تحدث موسى عن آيات الله فى الكون ، وعن حركة الرياح والمطر والنبات ، حدثه عن الأرض ، وأفهمه أن الله قد خلق الانسان من الأرض ، وسوف يعيده لها بعد ذلك عند الموت ... أفهمه أن هناك بعث ، وأن كل إنسان سيقف يوم القيامة أمام الله عز وجل دون استثناء بما فى ذلك الفرعون ... جاء موسى عليه السلام مبشرا ومنذرا .

ولكن لم يعجب فرعون من هذا النذير ، فأخذ يهاجمه ويهدده ويحتقره ويسبه . و تجاهل فرعون دعوة موسى وهاجمه فى شخصه وفقره وملابسه الصوفية الخشنة ... ثم عايره بثقل لسانه عند نطق الكلمات .

اتجه الفرعون إلى الحكم المطلق ، وأعلن عن ألوهيته ، وسأل موسى كيف يتجرأ على عبادة إله غيره .. إن هذا معناه السجن .

موسى يواجه فرعون والسحرة

﴿ **قال : لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين** ﴾ (١) وفى هذا الوقت أدرك موسى أن وقت المعجزة قد جاء بعد أن فشلت كل محاولاته بالاقناع بالحجج العقلية والمنطق ـ قال لفرعون بعد أن هدده بالسجن .

﴿ **قال : أو لو جئتك بشيء مبين** ﴾ (٢) .

﴿ **قال : فأت به إن كنت من الصادقين** ﴾ (٣) .

فألقى موسى بعصاه فى صالة قصر فرعون العظيم ... وما كادت أن تلمس الأرض حتى تحولت إلى ثعبان هائل يتحرك بسرعة عجيبة ... فاتجه الثعبان الهائل نحو فرعون ... شحب وجه فرعون من الخوف وصرخ أن يبعدوا هذا الثعبان . وبقدرة الله عز وجل وبمعجزاته الخارقة مد موسى يده إلى الثعبان ، فعاد فى يده إلى عصا كما كان .

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الشعراء مكية .
(٢) الآية ٣٠ من سورة الشعراء مكية .
(٣) الآية ٣١ من سورة الشعراء مكية .

دب الصمت والسكون بعد هذه المعجزة الرهيبة ، وهب موسى بمعجزته الثانية ، **فأدخل يده فى جيبه وأخرجها ، فاذا هى بيضاء تتلألا كالقمر ... إنه نور من عند الله ... نور الرسالة النبوية ، نور تخفت أمامه أضواء قصر فرعون وشموعه ... ظهر وجه فرعون أخضر من شدة الخوف .**

قال تعالى :

﴿ فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ، ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين ﴾ (١) .

فقال فرعون للملأ من حوله إن هذا ساحر عليم ، يريد أن يخرجكم من دياركم بسحره ، فبماذا تشيرون على ، قالوا :

ابعث فى المدائن من يجمع لك السحرة الماهرين وفى يوم معلوم ، اجتمع السحرة ، فقال السحرة لفرعون ألنا أجر إن كنا نحن الفائزين ؟

قال : نعم وإنكم تكونون لدينا من المقربين ، فلما واجه موسى السحرة والناس محتشدون قال لهم :

---

(١) من سورة الشعراء آية ٣٢ ، ٣٣ مكية .

- ألقوا من سحركم ما أنتم ملقون .

فألقوا حبالا وعصيا قائلين ، بعزة فرعون وسلطانه نحن المنتصرون ، فخيل للناس من سحرهم أنها حيات تسعى تملأ من يراها رعبا وهولا .

فألقى موسى بعصاه ، فانقلبت حية ، وأخذت تبتلع ما كانوا يموهون ... فخر السحرة ساجدين ، قائلين : آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون .

فقال لهم فرعون ، آمنتم قبل أن اسمح لكم ، إن موسى لشيخكم الذى علمكم السحر ، فلسوف ترون ما سأنزله بكم من عقاب . لأقطعن أيديكم وأرجلكم ولاصلبنكم أجمعين ، قالوا عذاب زائل ، لا حذر علينا منه وسوف ننقلب إلى ربنا مرتاحين ، وإنا لنطمع أن يغفر لنا خطيئاتنا لأجل إن كنا أول المؤمنين .

فانقلب السحرة المصريون إلى الإسلا م الذى جاء به موسى وآمنوا بالله ورسوله ... رفع هامان كبير وزراء فرعون يده يطلب الكلمة ، فسمح له فرعون فقال هامان :

– هل سنترك موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويتركوا عبادتك ؟

– قال فرعون : أنت تقرأ أفكارى يا هامان ، سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم وإنا فوقهم قاهرون .

صدرت التعليمات بذلك ، ووقف موسى يشهد ما حدث دون أن يملك التدخل أو يقوى على دفعه .. لكنه أمر قومه بالصبر ، أمرهم أن يستعينوا بالله على المحنة ، ثم أخذ يضرب لهم الأمثال ، فضرب لهم مثلا بالسحرة المصريين الذين احتملوا فى الله ما احتملوه بغير شكوى .

أشاع إرهاب فرعون فى نفوس بنى إسرائيل روحا من الانهزام والتشاؤم ، وقالوا لموسى :

" أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ، كانت الأبناء تقتل قبل مجيئك وبعد مجيئك إلينا ، رد موسى جهلهم وأفهمهم أن الله سبحانه وتعالى سيهلك عدوهم ثم يستخلفهم فى الأرض فيرى كيف يعملون ... بدا موقف موسى صعبا ، فهو يواجه غضبين ، غضب فرعون ، وغضب قومه .

فى هذه الظروف العصيبة ، تحرك قارون ، وقارون هذا من أبناء إسرائيل ، كان من قوم موسى فبغى عليهم .. وكان أقرب إلى الفرعون فى الثراء والمكانة .. فلقد كانت مفاتيح الحجرات التى تضم كنوزه يصعب حملها على مجموعة من الرجال الأشداء . وكان قارون إذا خرج فى زينته ومشى موكبه تحت الشمس تلألأ الذهب والنحاس تحت أشعة الشمس ، وخطف الوهج أبصار أهل الدنيا ، وهكذا ملك قارون مع أمواله الكبرياء ، وكان له إحساس دائم بالفرح ، فصارت ضحكة قارون أشهر ضحكة فى بنى إسرائيل ، وموكبه أشهر المواكب بعد موكب فرعون وهامان ، فاكتفى قارون بنصيبه من الدنيا ولم يفكر فى الآخرة ، حتى أخذه الغرور وصور له أنه أفضل من موسى عليه السلام لأن موسى فقير وهو شديد الثراء .

وهكذا .. اتفق فرعون وقارون فى رأيهم بالنسبة لموسى عليه السلام .

ولكن ما فضل الذهب والكنوز واللآلىء ، والدرر والماشية ، إذا كانت النفوس قد أظلمت من الداخل .

مكيدة قارون ونهايته

تهيأ قارون للانتقام من موسى عليه السلام ، ولقد كان موسى رجلا معروف عنه النقاء العظيم ، فاتفق قارون مع فرعون ، على إسقاط موسى فى عيون أتباعه عن طريق اتهامه بتهمة تخل بالنقاء ، ففى يوم كان موسى يقف بين قومه ويدعوهم إلى الله عز وجل وإذا به يفاجأ بامرأة بغى تقذفه بتهمة أنه كان بالأمس فى فراشها ... فوجيء موسى عليه السلام بهذا الاتهام الباطل ولم يعرف كيف يدفعه عن نفسه ، فصلى لله سبحانه وتعالى ، ثم أقبل على هذه المرأة الباغية ، فسألها ، لماذا تتهمه بما لم يحدث .

وبفضل الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام ، انهارت تلك المرأة الباغية باكية ، مستغفرة ، قائلة للحقيقة .. وهى أن قارون لعنه الله قد أعطاها نقودا مقابل إلصاق هذا الإفك بموسى عليه السلام فدعا موسى على قارون .

استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء موسى ، وشاء أن تقع معجزة تبين للناس أن الله عز وجل هو القادر القهار .

وكانت المعجزة ، فخسف الله بقارون ، وداره وكنوزه ، فانشقت الأرض وابتلعت قارون ، وإبتلعت معه داره وكنوزه ، ويقال أن مكان بيت قارون هو بحيرة قارون بالفيوم والتى سميت على اسمه .

بعد هذه المعجزة العظيمة ، أصبح فرعون على يقين من أن موسى يهدد ملكه خاصة وأن المؤمنين قد رفعوا موسى على رؤوسهم بعد خسف قارون بلا عودة ، فلقد انبهر بنو إسرائيل وآل فرعون بمعجزة موسى عليه السلام .

أصبح فرعون يفكر ويدبر لقتل موسى عليه السلام فبقتله يستطيع حل جميع المشاكل ، فقال فرعون :

﴿ ذرونى أقتل موسى وليدع ربه ، إنى اخاف أن يبدل دينكم او أن يظهر فى الأرض فسادا ﴾ (١) .

أخذ فرعون وأتباعه يدبرون لقتل موسى عليه السلام ، وكان هامان أول المؤيدين للقتل ، فاعتبروا أن فى قتله خلاص لهم ، ولكن كان من بينهم رجل مؤمن اشار له القرآن الكريم أنه " رجل مؤمن " . أشار هذا الرجل إلى فرعون واستطاع أن

---

(١) الآية ٢٦ من سورة غافر مكية .

يحدثه بالمنطق والحجة ، إن فى قتل موسى شر كبير لفرعون وليس من الخير قتله ، فموسى رجل لم يقتل غير أن الله هو ربه وهو فى ذلك غير ملوم ، مما لا يستوجب قتله ، وقال الرجل المؤمن لفرعون ، لو قتلنا موسى قد نلاقى من العذاب ما وعدنا به ، ومن ينجينا من هذا العذاب ثم حذر فرعون بما أصاب قارون بالأمس وهو فى كامل قوته وثرائه ، ونخاف أن يحدث لنا ما حدث له .

قال فرعون :

﴿ ما أريكم إلا ما أرى ، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ (١) .

لقد كان فرعون طاغية جبار ، كان يتحدى كل تحذير ، ولكن استمر الرجل المؤمن فى نصح فرعون ممثلا له قصص أمم كفرت من قبل فرعون أهلكها الله سبحانه وتعالى ، وأعطى له مثالا لقوم نوح وعاد وثمود ، فمنهم من خسف الله به الأرض ومنهم من أغرقهم بالطوفان .

شك فرعون فى أمر هذا الرجل المؤمن ، فلقد كانت

---

(١) من الآية ٢٩ سورة غافر مكية .

كلماته تعلن صراحة عن إيمانه القوى الذى لا يختلف على قوته اثنين ، مما جعل فرعون ينشغل عن موسى بأمر هذا الرجل المؤمن ، فأخذ فرعون يمكر له لأن إيمان هذا الرجل يعتبر نصرا كبيرا لموسى عليه السلام ومذلة لآل فرعون .

وكانت مشيئة الله فوق كل المكائد ، فلقد سلط الله على المصريين أعوام الجدب ، وتلك هى المعجزة الإلهية التى أراد الله عز وجل بها إنقاذ موسى والرجل المؤمن من كيد فرعون وإثباتها لنبوة رسول الله موسى، عليه السلام .

أعوام الجدب والطوفان ونهاية فرعون مصر

اشتد الفقر والمجاعة ، وأجدبت الأرض ، وشح النيل بالأمة المصرية ، وذلك لأنهم انصرفوا عن تقوى الله سبحانه وتعالى . وقال الله تعالى :

﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ (١) .

---

(١) من الآية ٩٦ سورة الاعراف مكية .

اشـتد فقـر المصـريين ، واشـتد جوعهـم ، واعتقـدوا أن موسـى قـد سـحر لهـم لتجـدب الأرض ، وقـالوا إنهـم تشـاءموا مـن موسـى وعـاقبهم اللـه سـبحانه وتعـالى ، وشـدد عليهم العقاب ، فأرسل عليهم الطوفـان بعـد سـنوات الجـدب ، ففـاض النيـل ، وغرقـت زراعتهم وبعـد أن كـان عذابهـم مـن قلـة الميـاه أصبـح عذابهـم مـن كثرتهـا ... إنهـا قـدرة الخـالق عز وجل .

﴿ قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل ﴾ (١) .

استنجد المصريون بموسى فلم يكن هناك مفر من ذلـك ، فدعـا موسـى ربـه أن يكشـف عنهـم العـذاب .. فاسـتجاب لـه ربه .. فشربت الأرض ماءها ،وعادت الزراعة . وبعد أن دعا موسى ربه فاسـتجاب لـه الدعـاء ، طلـب موسـى عليـه السـلام منهـم أن يطلقـوا سـراح بنـى إسـرائيل ، ولكـن دون جـدوى ، فـأنزل اللـه سبحانه وتعـالى آيـة " الجـراد " وانتقـم اللـه منهـم أشد الانتقام .

---

(١) من الآية ١٣٤ سورة الاعراف مكية .

نـزل الجـراد علـى زرعهـم وثمـارهم فأكلـه ، هـرع المصريـون إلـى موسـى أن ينقذهـم ، فدعـا ربـه أن ينقذهـم ، فاستجاب له ربه ، فعاود موسى عليه السلام ، وطلب منهـم أن يطلقوا سراح بنى إسرائيل .. ولكن دون جدوى ... فنزلت آية " **القمل** " .

إنتشر القمل والأوبئة بين المصريين ، وتكرر لجوؤهم إلى موسى ، أن يدعو إلى الله لإنقاذهم ، ودعا موسى عليه السلام ربه وعاود طلبه ، لكنهم لم يفوا بوعودهم له فوقعت آية " **الضفادع** " .

انتشرت الضفادع فى طعام المصريين وبيوتهم وتكرر طلبهم ، وعندما يدعو موسى ربه فيستجيب له ، وينكشف عنهم البلاء ، يخلفون وعودهم ، حتى نزلت آخر آية " **الدم** " .

لقد تحـول مـاء النيل إلـى دمـاء ، ولكـن معجـزة الخـالق كانت للمصريين فقط .. فعندما كان يشرب موسى ، كان إناؤه يملأ بالماء النقى من عند الله سبحانه وتعالى ، وعندما يشرب المصرى يجد إناءه مملوءا بالدم .

أمام هذه الآية الغريبة اهتز فرعون وآله ، وهرعوا جميعا إلى موسى عليه السلام ، أن يدعو ربه أن يكشف عنهم

هذا البلاء العظيم ، وأخبروه أنهم فى هذه المـرة سـوف يوفـون لـه بـالوعد ولكن لم يكن بجديد على الفرعـون ، أن يخلـف عهده ، فدعا موسى ربه فاستجاب لـه ، فكشـف اللـه عـز وجل عنهم البلاء ، ولكن كعادة الفرعـون ، لـم يفـوا بالعهد .

أعلن فرعون أن موسى ساحر كاذب ، واشتد فرعون صلابة ، وهنا دعا موسى وهارون على فرعون .

﴿ وقال موسى : ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . قال : قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ (١) .

" وقال تعالى :

﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ، فأغرقناهم أجمعين . فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ﴾ (٢) .

---

(١) الآيتان (٨٨ ، ٨٩) من سورة يونس مكية .
(٢) الآيتان ٥٥ ، ٥٦ من سورة الزخرف مكية .

أذن الله سبحانه وتعالى موسى بالخروج من مصر ومعه قومه . فذهب موسى وهارون إلى فرعون يرجونه أن يأذن لبنى إسرائيل بالخروج فى يوم عيدهم .. رفض فرعون ، ولكن بعد جدال طويل وافقهم لطلبهم ، فخرج بنو إسرائيل متظاهرين بالاحتفال بالعيد . خرج موسى وقومه نحو البحر الأحمر إلى بلاد الشام ، ولما بلغ فرعون النبأ ، جمع جيشه وسار به نحو البحر الأحمر لقتل موسى عليه السلام . وقف فرعون بجيشه الهائل ، ووقف موسى بقومه العزل من النساء والأطفال والرجال بدون سلاح ، فقال قوم موسى فى فزع سيدركنا فرعون ، ولكن قال موسى ــ كلا ــ إن معى ربى سيهدين .. وكان يعلم أن الله معه لن يفارقه أبدا .. فأوحى له ربه أن يضرب بعصاه البحر .. فكانت المعجزة ، رفع موسى عصاه فاذا بجبريل عليه السلام ينزل إلى الأرض ، ضرب موسى البحر بعصاه فانشق نصفين ، بينهما طريق يابس ، الأمواج على يمينه ويساره .

عبر موسى البحر مع قومه بسلام وبالمعجزة الإلهية العظيمة ، نجا موسى وقومه من الغرق أو حتى من البلل ، أما فرعون فلقد فزع من هول المعجزة التى شاهدها بعينيه ، ولكن استمر الطاغية فى طغيانه واندفع نحو البحر ومن ورائه جيشه ، فأمر الله سبحانه وتعالى لموسى أن يترك البحر على حاله حتى يغرق فرعون ومن معه .

﴿ واترك البحر رهوا ، انهم جند مغرقون ﴾ (١) .

عبر فرعون النصف الأول من البحر ، ولما وصل إلى النصف الثانى أمر الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام أن يحرك الموج ليغرق فرعون وقومه ، فغرقوا جميعا بين الأمواج .

وهكذا انتصر الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا . وفى هذه اللحظات الخارقة ، آمن فرعون ... ولكن بعد فوات الأوان وقال الله تعالى :

" حتى اذا ادركه الغرق قال : آمنت انه لا آله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل ، وانا من المسلمين " (٢) .

قذفت الامواج بجثة الفرعون على الشاطىء ، ورأى قومه المصريون من كان يدعى أنه إله لهم ... لقد كان فرعون عبدا لا يستطيع دفع الموت والغرق عن نفسه .

وهكذا أهلك الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه .

---

(١) الآية ٢٤ من سورة الدخان مكية .
(٢) الآية ٩٠ من سورة يونس مكية .

نزول التوراة والوصايا العشر على موسى

سار موسى وقومه نحو سيناء ، وبقوا فى التيه فى صحراء سيناء القاحلة ، ولما بحثوا عن الماء لم يجدوه ، فشكوا إلى موسى عليه السلام ظمأهم .

أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام أن يضرب الحجر بعصاه فلما ضرب موسى الحجر ، انبثقت منه إثنتا عشرة عينا تجرى بها الماء ، شرب منها القوم .

ولما شعروا بالجوع هرعوا إلى موسى عليه السلام ، طالبين الطعام فدعا موسى ربه أن يطعمهم .. فرزقهم الله عز وجل أسرابا من " المن والسلوى " ، والمن هو نوع من الفاكهة الحلوة الطعم والسلوى هو نوع من أنواع الطيور يسمى السمان .

لم يصبر قوم موسى على نوع واحد من الطعام ، لقد اشتاقوا لكل ما كانوا يأكلونه بمصر ، اشتاقوا للفول والعدس والثوم والبصل فسألوا موسى أن يدعو الله عز وجل أن يمدهم بكل هذه الأطعمة من الأرض ، فأخبرهم موسى أن ما يأكلونه هو أحلى وأشهى الطعام وما يطلبونه من المأكولات المصرية

فهو أدنى ، وليس لهم أن يتبطروا على نعم الله سبحانه وتعالى ، وإلا فليذهبوا إلى مصر حيث الذل لهم والهوان ويأكلوا ما يشتهون .

سار موسى بقومه نحو بيت المقدس ، وأمرهم أن يحاربوا من فيه ويستولوا عليه ، رفض قوم موسى دخول الأرض المقدسة فقالوا إنهم يخافون القتال ... لقد زرع الفرعون فى قلوبهم الخوف والمذلة ، فهم لا يصلحون لشىء .

دعا موسى عليه السلام ربه عز وجل ، أن يفرق بينه وبين قومه ، فكان حكم الله عليهم هو التيه أربعين عاما ، حتى يفنى هذا الجيل ، ويأتى من بعده جيلا جديدا ، جيلا خاليا من الأمراض النفسية التى غرسها فرعون فى قلوب بنى إسرائيل ، وانطلق موسى لميقات ربه إلى جبل طور سيناء واستخلف أخاه هارون فى قومه ، حتى يقوم مقامه ويأخذ مكانته بينهم .

انطلق موسى إلى جبل طور سيناء ، صام ثلاثين يوما ليلا ونهارا ولما حان ميقات ربه ، أكل من نبات الأرض ، فلقد أبى أن يكلم ربه وفى فمه رائحة الصيام . فلما سأله ربه : لماذا أكلت فقال لله سبحانه وتعالى : حتى لا أكلمك يا ربى وفمى به رائحة الصيام فقال له ربه : إن رائحة فم الصائم عندى أطيب من ريح المسك .. فأمره ربه أن يرجع ويصوم

عشرة أيام ، ثم اثنتى ، ففعل عليه السلام ما أمره بـه اللـه عز وجل . وأنزلت التوراة على موسى عليه السلام وأنزلـت عليـه الوصايا العشر .

الوصايـا العشـر :

١- الامر بعبادة الله وحده لا شريك له .

٢- النـهى عن الحلف بالله كذبا .

٣- الامر بالمحافظة على السبت (بمعنى تفريغ يوم من أيام الاسبوع للعبادة) .

٤- الأمر بإكرام الأم والأب .

٥- معرفة ان الله وحده هو الذى يعطى ويمنح .

٦- لا تقتل .

٧- لا تزن .

٨- لا تسرق .

٩- لا تشهد شهادة زور .

١٠- لا تمـدن عينيـك إلـى بيـت صـــاحبك او امراتـــه أو عبده او ثوره أو حماره .

وقال موسى عليه السلام :

﴿ رب أرنى أنظر إليك ﴾ .

قال عز وجل :

﴿لن ترانى ﴾ .

لقد طلب موسى عليه السلام من ربه سبحانه وتعالى أن يراه بدافع من دوافع الحب والعشق الإلهى ، فأجابه الله عز وجل لن ترانى فانظر إلى الجبل ، فإن استقر فى مكانه ، فسوف ترانى .

﴿ ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ﴾ (١) .

﴿ فلما أفاق قال : سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين ﴾ (٢) .

لقد أثبت موسى لنا أنه لا يوجد من يصمد لنور الله جل شأنه **﴿ قال : سبحانك تبت إليك ﴾** (٣) .

---

(١) من الآية ١٤٣ من سورة الاعراف مكية .
(٢) من الآية ١٤٣ من سورة الاعراف مكية .
(٣) من الآية ١٤٣ من سورة الاعراف مكية .

قال تعالى :

﴿ إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ، فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين ﴾ (١) .

وكتب له الله عز وجل ، فى الالواح موعظة من كل شيء وتفصيلا . كان موسى قد ذهب لميقات ربه وكان قد وعد قومه بغيابه ثلاثين ليلة فلما أتمها بعشر أصبحت أربعين ليلة ، فأخبرهم السامرى وأنه لن يعود ، وفى ذلك الوقت كان هذا السامرى قد وضع عجلا مثل عجل أبيس " **الذى كان يعبده المصريون فى ذلك الوقت** " ، قال السامرى إلى القوم أنه صنع لهم هذا العجل الذى هو إلههم ، وإله موسى ، فأخبروه أن موسى قد ذهب لميقات ربه .

وهكذا عبد بنو اسرائيل عجل السامرى ... لقد كانوا وثنين يعبدون الأصنام مثل سادتهم المصريين القدماء . ولقد صنع السامرى العجل من الذهب حتى يخر له اليهود ساجدين ، لانه يعلم نقطة الضعف عندهم ، وحبهم الجم للذهب .

---

(١) من الآية ١٤٤ من سورة الاعراف مكية .

أخذ اليهود يرقصون من حول العجل الذى يعبدونه ، ولما عاد موسى إلى قومه ، ووجدهم على هذا الحال ، صرخ موسى فيهم وألقى ألواح التوراة من يده على الأرض ، وأخذ برأس أخيه هارون يجره من شعر رأسه ولحيته ، فأخبره أخوه أنه كان مكروها ، وقد تعرض للقتل منهم والهلاك . سامح موسى أخاه هارون ، بعد أن علم أن السامرى هو صانع العجل الذهبى الذى يعبدونه ، فتحدث موسى إلى السامرى بغضب شديد وحكم موسى على السامرى بالوحدة فى الدنيا ، ونسف موسى العجل وقال لقومه :

﴿ إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علما ﴾ (١) .

أحس بنو إسرائيل بالخجل ، وكلموا موسى أن يستغفر لهم إلى الله عز وجل فاختار موسى منهم سبعين رجلا من علماء بنى اسرائيل وانطلقوا نحو الجبل ليعتذروا ، فصعد موسى ليكلم ربه وليعتذر عن عبادة العجل ، ثم رجع لقومه ، فقالوا له :

﴿ يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ (٢) .

---

(١) الآية ٩٨ سورة طه .
(٢) الآية ٥٥ سورة البقرة .

وكان جزاؤهم إثر هذا التعنت والاجتراء على الذات الإلهية أن انقضت عليهم صاعقة من السماء فماتوا جميعا .

ولكن أخذ موسى يستعطف ربه حتى يرضى عن قومه وهو يدعوه أن يغفر لهم ويرحمهم ... فرضى الله سبحانه وتعالى عنه ، وغفر لقومه ، فأحياهم بعد موتهم ... وفى هذه اللحظات الرائعة .. جاءت النبوءة بمجىء محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين ، واستمع إليها المختارون منهم .

لقد بشر الله سبحانه وتعالى بمجىء محمد صلى الله عليه وسلم فى زمنين سابقين هما نزول التوراة ونزول الإنجيل .

وفى هذا اليوم الذى طلب موسى وقومه فيه من الله سبحانه وتعالى الغفران تمت البشرى بآخر أنبياء الله عز وجل .

وعن ابن كثير فى كتابه " قصص الانبياء " أن موسى قال لربه :

– يارب إنى أجد فى الالواح أمة هى خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، رب اجعلهم أمتى .

قال عز وجل :

- تلك أمة أحمد .

- قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرأونها . وكان من قبلهم يقرأون كتابهم نظرا ، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئا ولم يعرفوه . وأن الله أعطاهم من الحفظ شيئا لم يعطه أحدا من الأمم .. رب اجعلهم أمتى .

- قال عز وجل :

- تلك أمة أحمد .

- قال رب إنى أجد فى الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول ، وبالكتاب الآخر ، ويقاتلون فضول الضلالة فاجعلهم أمتى .

قال سبحانه :

تلك أمة أحمد .

- قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها فى بطونهم ويؤجرون عليها وكان من قبلهم من الأمم ، إذا تصدق أحدهم بصدقة فقبلت منه بعث الله عليها نارا فأكلتها ،

وإن ردت عليه تركت فتأكلها السباع والطير . وأن اللـه أخذ صدقاتهم من غنيهم لفقيرهم . رب فاجعلهم أمتى .

– قال جل شأنه :

تلك أمة أحمد .

– قال : رب إنـى أجد فـى الألـواح أمـة إذا هم أحدهـم بحسنة ثم عملها كتبت لـه عشرة أمثالها إلـى سبعمائة ضعف رب فاجعلهم أمتى .

– قال تعالى :

تلك أمة أحمد .

ولقد ظـل موسـى عليـه السـلام يدعـو قومـه إلـى اللـــه ، ولكنهم كانوا متعنتين ، مما جعل مهمته شـاقة وعسـيرة ، ولقد ظهر تعنتهم واضحا فى سورة البقرة فى القرآن الكريم .

وكانت أحداثها أنه :

كان رجل من بنى إسرائيل عقيما لا يولد لـه ، وكـان لـه مال كثير وكان ابن أخيه وارثه فقتله ثم احتمله ليـلا ، فوضعـه على باب رجل منهم ، ثم أصبح يدعيه حتى تسلحوا ، وناقشـوا الأمر فقال ذوو الرأى منهـم ، تقتلـون بعضكـم بعضـا ورسـول

الله فيكم ، ولما علم موسى عليه السلام بذلك قال : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة .

قالوا : أتتخذنا هزوا ؟

قال : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين .

قال : فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة ، ولكنهم شددوا ، فشدد عليهم حتى انتهوا إلى البقرة التى أمروا بذبحها ، فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها ، فقال والله لا أنقصها من ملء جلدها ذهبا فأخذوها منه بملء جلدها ذهبا ، فذبحوها ، فضربوا القتيل ببعضها فقام فقالوا له بعد صحوته وبعد أن أحياه الله جل شأنه قالوا له :

– من قتلك ؟

– فقال هذا ... مشيرا لابن أخيه ثم مال ميتا .
فلم يعط إبن اخيه من ماله شيئا ، فالقاتل لا يورث .

وفى رواية أخرى قيل :
ان البقرة كانت عند سيدة عجوز ترعى أطفالا يتامى وهى القيمه عليهم ، فسألتهم السيدة أضعاف ثمنها فأخذوها منها

مثلما أرادت ثم ذبحوها ، فأمرهم موسى عليه السلام أن يأخذوا عظما منها فيضربوا به القتيل ، فرجع اليه روحه فأخبرهم بقاتله ثم عاد ميتا كما كان ... فقتل الله قاتله على سوء عمله وكان جزاء تعنت اليهود وتشددهم أن شدد الله عليهم ، والحوار الآتى يوضح تعنتهم وجدلهم مع موسى عليه السلام فى ذلك الأمر :

فقالوا لموسى بعد أن أوحى الله سبحانه وتعالى له أن يذبحوا بقرة ، ليظهروا قاتل الرجل الثرى وبعد أن اعتقدوا أنه يسخر منهم قالوا :

- " ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ؟ "

- قال (انه يقول إنها بقرة ، لا فارض) يعنى لا هرمة (ولا بكر) ولا صغيرة (عوان بين ذلك) أى نصف بين البكر والهرمة .

- قالوا : (ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ؟) .

- قال : (انه يقول إنها بقرة صفراء ، فاقع لونها) أى صافى (تسر الناظرين) أى تعجب الناظرين .

- قالوا : (ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ؟ إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون) .

- قال : (إنه يقول إنها بقرة لا ذلول) أى لم يذللها العمل (تثير الأرض) بمعنى أنها ليست بذلول تثير الأرض (ولا تسقى الحرث) يقول ولا تعمل فى الحرث (مسلمة) بمعنى مسلمة من العيوب (لا شية فيها) بمعنى لا بياض فيها .

- قالوا : (الآن جئت بالحق) .

من هذا الحوار يتضح لنا أن موسى عليه السلام قد رأى من قومه أشد العذاب والهوان ، فهم قوم ليس لهم دين أو مبدأ وهذا هو حال بنى إسرائيل المجادلين ، المتعنتين الذين أرهقوا نبيهم ذهابا وإيابا بينهم وبين الله عز وجل .

قال تعالى :

﴿ وإذ قال موسى لقومه : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ، قالوا أتتخذنا هزوا ، قال : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ، قال : انه

---

* راجع ابن كثير فى تفسير سورة البقرة .
الجزء الاول ص ١٥٤ إلى ص ١٦٠ من طبعة دار الشعب .

يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون . قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ، قال : انه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا : ادع لنا ربك يبين لنا ما هى إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون . قال : إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها ، قالوا : الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون . وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا : اضربوه ببعضها ، كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ (١) .

رفض بنو إسرائيل نشر عقيدة التوحيد فى الأرض ، ولهذا حكم الله عليهم بالتيه أربعين عاما حتى فنى هذا الجيل المتخلف ، وولد جيلا جديدا لا يعرف الخوف أو الهزيمة أو الوثنية ، ولقد مات موسى عليه السلام قبل أن يرى هذا الجيل وهو فى أشد الشوق أن يرى الأرض المقدسة فلقد مات وهو فى التيه .

---

(١) سورة البقرة الآيات من ٦٧ إلى ٧٣ مدنية .

ويقول تعالى :

﴿ واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا ، وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ، ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا ﴾ (١) .

صلوات الله وسلامه على موسى .

---

(١) سورة مريم الايات من ٥٠ إلى ٥٣ (مكية) .

عيسى عليه السلام

مولده ونشأته :

كانت البشارة من الملائكة لمريم عليها السلام ، وأى بشارة تلك وهى العذراء سليلة النسب والحسب ، سليلة آل عمران أى موسى وهارون ، وهم الذين اختصهم الله سبحانه وتعالى بالمزايا الروحانية والجثمانية ، إذ قالت امرأة عمران بن ماثان جد عيسى : إنى نذرت ما فى بطنى من الولد لخدمة الله .

ولما وضعت امرأة عمران ووجدتها أنثى قالت :

﴿ فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ (١) .

ولما كانوا لا ينذرون الإناث ، رضى الله سبحانه وتعالى

---

(١) سورة آل عمران (مدنية) آية ٣٥ .

بمريم فى النذر على أنها أنثى ورباها تربية حسنة ، وكلف زكريا كفالة مريم ، فكان كلما دخل عليها حجرتها وجد عندها فاكهة وطعاما ولما يسألها عن مصدره تجيب أنه من عند الله .

تحدثت الملائكة مع مريم فقالوا لها ، إن الله سبحانه وتعالى قبلك وطهرك وخصك بالكرامات ، فأطيعى الله ، وصلى له مع المصلين .

لما سمعت مريم عليها السلام حديث الملائكة ، اتخذت مكانا شرقيا واعتزلت أهلها ، فجعلت بينها وبينهم سترا ... فأرسل إليها جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل .

ظهر جبريل للسيدة الطاهرة ، فتمثل من عند الله لها بشرا سوى الخلق ... استعاذت مريم بالله منه وقالت له :

﴿ إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ﴾ (١) .

﴿ قال : إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما ذكيا ﴾ .

قالت مريم عليها السلام لجبريل لا تتعرض لى بسوء إن كنت تقيا ، فرد عليها الملك وقال : أنا رسول ربك لأمنحك

---

(١) سورة مريم مكية آية ١٨ .

غلاما طاهرا قالت لـه ، كيف يولـد لـى غـلام ، ولـم يمسسنى بشر ، ولم أكن بغيا ، فأجابها الملك مزيلا عن نفسها الخوف ، لست مما تظنين ولكنى رسول ربـك ، أى بعثنـى اللـه إليك .. وقيل أنها لما ذكرت الرحمن انتفض جبريل خوفا وجزعا وعاد إلى هيئته وقال " **إنما أنا** رسول ربـك **لأهب لـك غلامـا زكيـا** " قالت له مريم عليها السلام :

﴿ أنـى يكـون لـى غلاما ولم يمسسـنى بشـر ولـم أك بـغيا ﴾ (١) .

تعجبت مريم كل العجب ، وقالت للملـك كيف يكـون لـى غلام ! ؟ وعلى أى صفة يوجد هذا الغلام منى ... ؟ .

قالت إننى لست بذات زوج ولا يعرف عنـى أو يتصـور أحد فى الفجور والبغى فقال لها مجيبا ، إن الله سبحانه وتعالى سيوجد منك غلاما وان لم يكن لك بعل ولا توجد منك فاحشة ، فإن الله قادر على ما يشاء ، وليكن علامة ودلالة للنـاس علـى قدرة بارئهم ، خالقهم الذى نوع فى خلقهم ، فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وباقى الذريـة من ذكر إلا عيسى عليه السـلام فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر ،

---

(١) من الآية ٢٠ سورة مريم مكية .

وهذه هى القسمة الرباعية الدالة على كمال قدرة الخالق وعظيم سلطانه ، فلا إله غيره ولا رب سواه .

لقد جعل الله عز وجل هذا الغلام نبيا من الأنبياء ، يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده .. إنه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، فهو يدعو إلى عبادة الله ربه فى مهده وكهولته .

﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ﴾ (١)

أى إعجاز هذا ، وهى العذراء الطاهرة ، ولكنها إرادة الله عز وجل إرادة من يقول للشيء كن فيكون .

وكانت عليها السلام تقول ، كنت إذا خلوت حدثنى عيسى وكلمنى وهو فى بطنى ، وإذا كنت مع الناس سبح فى بطنى وكبر .

لقد قدر الله لمريم هذا الامر كما قال تعالى :

﴿ ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ﴾ (٢) .

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٥ مدنية .

(٢) سورة التحريم آية ١٢ .

وهكذا . استسلمت العفيفة الطاهرة لقضاء الله تعالى وحملت بالولد بإذن الله تعالى . فلما حملت به ضاقت به ذرعا ، ولم تدر ماذا تقول للناس ، إنها تعلم أن الناس لن يصدقوها فيما تخبرهم به ، غير أنها أفشت بسرها ، وذكرت أمرها لأختها امرأة زكريا ، ذلك أن زكريا عليه السلام كان قد سأل الله الولد فأجيب إلى ذلك فحملت امرأته ، فدخلت عليها مريم فقامت إليها فعانقتها وقالت : أشعرت يا مريم أنى حبلى ... ؟ فقالت لها مريم : وهل علمت أنت أيضا أنى حبلى ... ؟ ذكرت مريم لأختها شأنها وما كان من خبرها ، وكانتا بيت إيمان وتصديق .. وكانت امرأة زكريا بعد ذلك إذا واجهت أختها مريم تجد الذى فى بطنها يسجد للذى فى بطن مريم ، أى يعظمه ويخضع له ، فإن السجود كان فى ملتهم عند السلام مشروعا ، كما سجد ليوسف أبواه وإخوته ، وكما أمر الله الملائكة أن تسجد لآدم عليه السلام ، ولكن حرم فى ملتنا هذه تكميلا لتعظيم جلال الله تعالى .

وذات يوم ، كان مع مريم عليها السلام ، بالبيت المقدس رجل صالح من أقربائها يخدم معها البيت المقدس ، فلما رأى الرجل ثقل بطنها وكبره أنكر ذلك من أمرها ، ثم صرفه عن

الشك فى أمرها ما يعلم عنها من براءة ، ونزاهة وتدين ، وعبادة فقال لها :

- يا مريم إنى سائلك عن أمر فلا تعجلى على .
- قالت : وما هو ؟
- قال : هل يكون قط شجر من غير حب ، وهل يكون زرع من غير بذر ، وهل يكون ولد من غير أب ... ؟
- فقالت : نعم أما قولك " هل يكون شجر من غير حب ، وزرع من غير بذر " فإن الله سبحانه وتعالى قد خلق الزرع والشجر أول ما خلقها من غير حب ولا بذر ، " وهل خلق من غير أب ... " فإن الله قد خلق آدم من غير أب ولا أم . اختتمت مريم كلامها وسلمت أمرها لله وحده لا شريك له فصدقها الرجل وسلم لها حالها .

ولما استشعرت مريم من قومها اتهاما بالريبة ، انتبذت منهم مكانا قصيا أى قاصيا منهم بعيدا عنهم ، لئلا تراهم ولا يروها . وقال الله تعالى إخبارا عنها :

﴿ قالت : يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ﴾ (١) .

---

(١) الآية ٢٣ سورة مريم مكية .

إن قول الله تعالى فيه دليل على جواز تمنى الموت ، فهى تعلم أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذى لا يصدقها الناس فى أمره .

وهناك الأحاديث الكثيرة الدالة على النهى عن تمنى الموت إلا عند الفتنة عند قوله تعالى :

﴿ توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ﴾ (١) .

سلمت مريم عليها السلام أمرها لله عز وجل ، فأمرها الله أن تصوم وأن لا تكلم أحدا من البشر فانها ستكفى أمرها ويقام بحجتها ، فاستسلمت لقضاء الله بعد أن وضعت وليدها عيسى عليه السلام .

أخذت مريم ولدها (فأتت به قومها تحمله) فلما رأوها استنكروا أمرها وقالوا : " يا مريم ، لقد جئت شيئا فريا " أى أمرعظيم (يا أخت هارون) أى يا شبيهة هارون فى العبادة " ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغيا " فلقد أتيت من بيت صالح معروف بالطهر والصلاح ، والعبادة والزهادة ، فكيف صدر هذا منك .

---

(١) سورة يوسف آية ١٠١ .

وفى ذلك اليوم كانت مريم عليها السلام صائمة ، صامتة فلا تستطيع الكلام مع أحد من قومها ، فسألوها مستنكرين معرضين بقذفها فأحالت الكلام على وليدها وقوله :

(فأشارت إليه) قالوا : كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ؟

أشارت لهم أن يكلموه ، فتهكموا عليها ظانين أنها تلعب بهم قال : (**إنى عبدالله**) .

وكانت أول كلمة نطق بها عيسى هى أن نزه جناب ربه تعالى ، وبرأ الله من الولد ، وأثبت لنفسه العبودية لربه ، وقوله : (**آتانى الكتاب وجعلنى نبيا**) كانت تبرئة لأمه السيدة مريم من كل ما نسب اليها من فاحشة .

ولما قالوا لأمه ما قالوا كان يرضع ثدى أمه ، نزع عيسى الثدى من فمه واتكأ على جنبه الأيسر وقال (**إنى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا....** ، إلى قوله تعالى (**مادمت حيا**) .

نستدل من ذلك أن عيسى عليه السلام قد درس الإنجيل وهو فى بطن أمه وأحكمه ، وأمره الله سبحانه وتعالى

بالمعروف والنهى عن المنكر ومعلما للخير .

قال عيسى عليه السلام :

﴿ إنى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴾ (١) .

وقبل أن ينتهى عيسى من كلامه شحب وجه كهنة اليهود . إنها معجزة خارقة ... طفل يتكلم فى المهد ... معجزة كبرى لا يستطيع أن يأتى بها إلا من هو نبى بعث من عند الله . شعر الكهنة بقدوم الخطر عليهم بميلاد عيسى الذى سوف يعيدهم إلى عبادة الله وحده وهذا يعنى القضاء على ديانتهم اليهودية ، أما مريم عليها السلام ، فلقد قرت عينها ، وسكن الهدوء قلبها .

لم يستمر الهدوء طويلا ، لقد ولد وليدها محملا بالمشاق ، فهو يحمل رسالة إلهية محملة بالعذاب والحرمان حتى يعوده الصبر ويغرس فى نفسه العطف .

---

(١) من سورة مريم الآيتان ٣٠ إلى ٣٣ .

ولقد جاء الخوف والفزع من صهيون ، فكان لليهود ملك يدعى " هيرودس " استولى على الملك بالقوة بمساعدة قياصرة الرومان ولما جادله اليهود وأخبروه أنهم لا يريدونه ملكا عليهم ، ما كان عليه إلا أن أزهق أرواحهم حتى لا يجد فيهم من يعارضه ، وبذلك كان هيرودس شديد الفزع على عرشه .

ولما بلغ هيرودس نبأ مولد المسيح عليه السلام .

- سأل هيرودس : أين ولد المسيح .
- فقالوا له : ولد فى بيت لحم .

أحضر هيرودس المجوس وأمرهم أن يذهبوا إلى بيت لحم يأتوا له ما بأمره .

ولما ذهب المجوس إلى الطفل كما أمرهم هيرودس ، ورأوه سجدوا له وخافوا عليه .. كانوا يخشون عليه من هيرودس الظالم ، عاد المجوس إلى بلادهم ولم يرجعوا إلى هيرودس كما وعدوه ... لقد علموا أن عيسى نبى الله ، فلقد جاءتهم البشرى حينما كانوا يرقبون نجوم السماء ، فبدا لهم نجم شديد التألق ، وكانوا حكماء ثلاثة ، فعلموا على الفور أن هذا النجم يشير إلى ميلاد طفل معجزة .

ولما علم هيرودس بأمر رجوع المجوس الثلاثة لبلادهم دون الرجوع إليه كما أمرهم ، اعتبر ذلك سخرية منه ، وتحديا له .

هاج هيرودس وماج وأصدر أوامره بقتل كل طفل وليد فى بيت لحم ، حتى يتأكد أن الولد قد قضى عليه فلن تعتريه المخاوف بعد القضاء على عيسى ، من جاء ليهدم عرشه المغتصب ، وملكه الظالم .

لم يكن هيرودس يخشى على الديانة اليهودية ، فلم تكن تهمه فى شيء ولكن كان يخاف على عرشه ... يخاف على عرش روما .

أمر هيرودس بإحضار رأس الحكماء المجوس الثلاثة وبرأس ذلك الطفل . وحاول جواسيسه أن يقنعوه أنه ربما يكون ذلك حلما قد رآه اليهود فى منامهم ، ولكن ثارت ثورته العارمة وهدد جواسيسه ورجاله بأن رؤوسهم ستطير جميعا إن لم يحضروا له بالقصة الكاملة عن هذا الطفل .

هرع رجال هيرودس وجواسيسه على الفور حتى يبحثوا أمر هذا الوليد ، فأحضروا كبير كهنة اليهود .

حضر كبير الكهنة منحنيا صاغرا أمام الملك .

– سأل الملك كبير الكهنة عن قصة طفل يتكلم وهو فى المهد (وكان الكاهن قد شاهد الطفل يتكلم بالفعل ولكن خاف على نفسه ، فكذب على الملك وقال له) :

– يهيأ لى أن القصة غير صحيحة فلقد سمعت عنها ولكن أشك فيها .

– سأله الملك : هل يشير دينكم اليهودى إلى قدوم مخلص لشعبكم ؟ .

– أجابه الكاهن إن ذلك صحيح وأكد له أنها نبوءة قديمة فى الدين اليهودى .

– سأله الملك : هل يصدق اليهود هذه النبوءة وأنت هل تصدقها ؟ هل يوجد طفل بغير أب ؟

– قال له الكاهن : لا أصدق ، إنها أحلام الشعب فأمره الملك بالانصراف على أن يخبره بأى شىء يعلمه عن القصة على الفور . وكان الملك يشك فى كلام هذا الكاهن فى نفس الوقت ... فهو يشك أن يكون كاذبا ... لقد علم الملك أن هناك

مؤامرة تدبر ضد روما ، فأمر بالقبض على كل من سمع وشهد القصة ، وأمر بالبحث عن عذراء ولدت طفلا ، فأمر بقتل كل طفل ولد فى هذا الوقت .

الرحيل إلى مصر

كانت السيدة العذراء عليها السلام فى فلسطين هى وطفلها فجاء لها إنسان ألقى عليها السلام ، وقال لها ، إن الله سبحانه وتعالى يأمرها بالخروج إلى مصر ... لأن هيرودس ينوى قتل طفلها ... فسار الركب الكريم إلى مصر ، حيث أمره الله عز وجل .

ظلت مريم ووليدها بمصر حتى هلك هيرودس .

لقد أهلك الله عرش هيرودس الظالم ليعيد الخير إلى عرشه ... فمن المعروف أن جميع الأنبياء قد خرجوا من بلادهم وديارهم ، فالشر يخرجهم لفترة ثم يعودون سالمين بعد قضاء الله سبحانه وتعالى على الشر وهلاكه يعود أطهر ما فى الوجود لأوطانه . خرجت السيدة مريم عليها السلام كما أمرها الله سبحانه وتعالى ومعها النبى الكريم عيسى عليه السلام ، سارت تحمل عيسى وتسير به فى نفس الطريق الطاهر الذى

سار فيه موسى عليه السلام من قبلهم ، حينما ظهرت لـه النـار المقدسة وناداه الله من جانب الطور الأيمن . وبعد رحلة شـاقة وصل الركب الكريم السـيدة مريم والسـيد المسـيح إلـى مصـر حيث نشأ فيهـا المسـيح وعـاش طفولتـه وصبـاه . حيث الخير الكثير بها ، والثقافة العالية ، والجو المعتدل ، فكانت خير نشأة للمسيح عليه السلام بمصر الحبيبة .

عودة عيسى ومريم إلى فلسطين

أمر الله سبحانه وتعالى مريم بـالعودة إلـى فلسـطين مـرة أخرى بعد أن هلك هيرودس الظالم ، وآن الاوان ليعتلـى ابنهـا عرش الصـادقين .

عادت السيدة الطاهرة إلى فلسطين مرة أخرى كما أمرهـا الله عز وجل وكبر المسيح عليه السـلام وأصبـح شـابا ، وكمـا علمنا فيما سبق أن من ضمن الوصايا العشر التـى نزلـت علـى موسـى . احـترام يوم السـبت ، فهـو يـوم يخصـص للشـعائر الدينية ، وصدرت تعليمات يهودية تحرم القيام بأى عمـل مهمـا كـان فـى هـذا اليـوم ... لقـد كـان فـى ذلـك شـريعة لليهـود يحترمونها كل الاحترام ، يبجلونها كل التبجيل ... وكـان علـى الجميـع أن يحـترم هـذه الشـريعة دون مسـاس بهيبتهـا عندهـم

ولم يستطع المسيح عليه السلام أن يسير على هديهم فى يوم السبت ...

فى ذلك اليوم خرج عيسى عليه السلام ، ومن حوله قومه ، وأثناء سيره فى الطريق ، مد يده إلى ثمرتين اقتطفهما من حقل . وأعطاهما إلى طفل فقير جائع ، وهذا مما يخالف أحكام الشريعة اليهودية ، كما كان عليه السلام يشعل النار للعجائز فى هذا اليوم ، وهذا أيضا مما يخالف الشريعة اليهودية .

لقد كان عيسى عليه السلام ، هو حبيب الفقراء والمساكين والصديقين ولم تكن تصرفات اليهود فيما يقدمونه فى المعابد من قرابين ، وأضحية ونقود تضيع هباء وتحترق ، كل هذه التصرفات لم ترضه ... فلم يكن عيسى عليه السلام راضيا عما يفعله قومه . تساءل عيسى فى نفسه أين الحق بين هؤلاء القوم وبينهم جموع الفقراء الذين هم أحوج ما يكون إلى القرابين والذبائح التى تقدم للآلهة ... فأين الحق ؟

نزول الوحى

انصرف عيسى إلى الجبل ، ووقف فوق تلال الناصرة ليصلى ، لقد روى الأرض بدموعه وهو يصلى ... وفى هذه الليلة المباركة نزل الوحى على عيسى بن مريم ، يدعوه الله سبحانه وتعالى أن يبدأ دعوته بين قومه عسى أن يهتدوا .

كانت دعوة المسيح أساسها الحب والعفو والتسامح كما جاء فى إنجيل متى :

(سمعتم أنه قيل فلتحب قريبك ولتبغض عدوك . أما أنا فاقول لكم أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم) (١) .

لقد كانت دعوة السيد المسيح عليه السلام دعوة مثالية ، كان المقصود بها ، الخلاص من البؤس والفقر والأوبئة الحاكمة . فلقد كان يخاطب النفس البشرية ، يخاطب الروح لا يخاطب المادة ، ولذلك جاء عيسى عليه السلام مؤيدا بالروح القدس وهو جبريل عليه السلام .

---

(١) من إنجيل متى .

يتضح من ذلك أن عيسى عليه السلام هو أقرب إلى الملائكية فلم يقرب النساء طوال حياته إلى أن رفعه الله عز وجل ولم يتزوج ، فلقد ارتفعت روح عيسى على أية رغبة كانت ، حتى ولو كانت رغبة مشروعة .

لقد أيد الله المسيح بروح القدس وألهمه القدرة الخارقة على المعجزات ، فكان يحيى الموتى بإذن الله ويصنع الطير من الطين فينفخ فيه فيطير بإذن الله .

﴿ إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس فى المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى ، فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى ، وتبرئ الأكمه والأبرص بإذنى ، وإذ تخرج الموتى بإذنى ، وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات ، فقال الذين كفروا منهم ، إن هذ إلا سحر مبين . وإذ أوحيت إلى الحوار يين أن آمنوا بى وبرسولى ، قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ (١) .

---

(١) من سورة المائدة مدنية آية ١١٠ .

يتضح من القرآن الكريم ان لعيسى عليه السلام معجزات متعددة .

معجزات عيسى عليه السلام

كان لعيسى عليه السلام تسع معجزات وهى :

١- خلق عيسى من غير أب .

٢- كلم عيسى الناس وهو فى المهد .

٣- تعليمه التوراة التى كانت قد اختفت فى ذلك الوقت .

٤- صنعه للطير من الطين ثم نفخه فيه فيطير بإذن الله.

٥- إحياء عيسى الموتى بإذن الله تعالى .

٦- إبراء عيسى للأكمه الذى ولد أعمى والأبرص (وهو مرض جلدى لا يشفى) .

٧- إنزال المائدة من السماء كما طلب منه الحواريون ، كما ورد فى سورة المائدة الآيات من ١١٢ إلى ١١٥ .

٨- كان يتنبأ بالأمور الغائبة ، فكان ينبىء القوم بما يأكلون ويدخرون فى بيوتهم كما جاء فى سورة آل عمران من الآية ٤٩ .

٩- حينما حاول الحكام صلبه ، رفعه الله من الأرض .

كانت روعة المعجزة عند عيسى أنه جاء إلى قومه الذين نبغوا فى ذلك الوقت فى علوم الطب ، فلقد جاء عيسى ليتحداهم فى شىء نبغوا فيه ، فزادهم تحديا بإحيائه الموتى بإذن الله فالمعجزة هى خرق للعادة يثبت بها الله سبحانه وتعالى قدرته جل شأنه ، فهو قادر على كل شىء ، وهو من يقول للشىء كن فيكون .

وفى قصة عيسى عليه السلام القدرة الإلهية العظيمة فى بقاء النوع ، ولكن بمعجزة رائعة وهى بقاؤه من أنثى بلا ذكر فى سورة مريم ، إنها القدرة الإلهية الجبارة ، ليفهم الانسان أن الخلق مقرون بأسباب لابد من وجودها فلقد مر الخلق من أربع زوايا وهى منذ أول الخليقة .

الزوايا الأربع التى مر بها الخلق منذ بداية الخليقة :

١ – خلق الله آدم بلا ذكر أو انثى .
٢ – ثم خلق الله حواء من ذكر بلا أنثى .
٣ – ثم خلق الله بنى آدم من ذكر وأنثى .
٤ – ثم خلق الله عيسى من انثى بلا ذكر .

بذلك إكتملت أركان الخلق الأربعة ، وكلها معجزات تخضع للخالق وحده لا شريك له ، وتخضع لمشيئة الله سبحانه

وتعالى حيث قال :

﴿ **ويجعل من يشاء عقيما** ﴾ أى أن ليس وجود النوعين موجبا لأن يوجد الخلق ﴿ **لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ، ويجعل من يشاء عقيما** ﴾ .

إذن فالمعجزة هى خرق لنواميس الكون (تتحدى) دون أن يستطيع أحد معارضتها .

والمعجزات نوعان : معجزات أعطاها الله سبحانه وتعالى لرسله ليتحدوا بها قومهم ويثبتوا أنهم رسل جاءوا من عند الله وليثبتوا الإيمان فى قلوب البشر ويهدونهم إلى الطريق المستقيم .

إنها قوانين الله فى الأرض .

بداية الدعوة

(اعبدوا الله ربى وربكم) كلمة يقولها كل الأنبياء . قالها عيسى لقومه .. وبدأ دعوته إلى الله عز وجل مؤيدا بالروح القدس وبمعجزاته الرائعة .

ولقد كانت دعوة المسيح هى دعوة للتوحيد . وهو برىء مما قيل عنه حول نبوته او ألوهيته كما ورد فى القرآن الكريم صراحة ﴿ **ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به ، أن اعبدوا الله ربى وربكم** ﴾ (1) .

لقد جاء عيسى لقومه ليرفع عنهم المعصية لأوامر الله عز وجل ، يرفع عنهم المعصية رحمة من الله سبحانه وتعالى ، حتى يعودوا للطريق السوى . كما جاء عيسى لييسر حياتهم فأحل لهم بعض ما حرم عليهم ، جاء اليهم برحمة كبرى وهى أن يخرجهم من عالم الماديات إلى عالم الروحانيات إلى ملكوت الله جل شأنه ، وبقدرة الله وعظمته يستطيعون تحقيق كل ما يريدون .

لقد جعل الله عيسى رحمة لقومه ، ولم يجعله شقيا محكوما عليه بالشقاء ، بل جعله راضيا مرضيا عنه من الله ، فلقد رضى الله عنه فى الدنيا وفى الآخرة .

لقد أيد الله عيسى منذ مولده حتى وفاته بقدرته تعالى ، فميلاده كان معجزة ، وحديثه وهو طفل كان معجزة ،

---

(1) من سورة المائدة مدنية آية ١١٧ .

كل ما قام به من أشياء وهو نبى هى معجزات جميعها مؤيدة بقدرة الله سبحانه وتعالى حتى رفعه الله إلى السماء حين توفاه كما قال لنا القرآن الكريم. فسبحان من يقول للشيء كن فيكون.

لقد رفع الله عيسى إلى السماء بالجسد أو بالروح ، فلقد حدثت هذه المعجزة لرسولنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، حين أسرى به الله بالجسد إلى سدرة المنتهى ثم أعاده إلى الأرض مرة أخرى . والفرق بين معجزة محمد صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه السلام هو فرق زمنى لأن محمدا عليه السلام رفع للسماء ثم أعيد للأرض فى فترة زمنية قصيرة أما عيسى عليه السلام فلقد رفع إلى السماء وسيأخذ فترة زمنية طويلة ، حتى يبعث فى يوم القيامة كما أخبرنا القرآن الكريم .

انطلق عيسى عليه السلام ينشر رسالته بين قومه ، إلا أن بنى إسرائيل لم يقتنعوا بها ، ولم يستطع أن يجعلهم يؤمنون بها ، وبدأت مؤامرات اليهود على عيسى والتفانى فى تكذيب رسالته ، فهذا هو حال اليهود ، فمثلما عذبوا موسى عليه السلام فعلوا مع عيسى عليه السلام ، فلم يصدقوا معجزاته لكنهم أنكروها . إن بنى اسرائيل لا يعبدون ولا يؤمنون بغير الذهب فهم قوم ماديون لا يؤمنون إلا بالمادة ، فلقد لعنهم الله فهم كافرون .

أحس عيسى أن قومه لن يؤمنوا برسالته بعد كل ما جاء به لهم من معجزات وبالرغم من كل ما فعل حتى يبعدهم عن الطريق المادى إلى العالم الروحى ولكن دون جدوى .

﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر ، قال من أنصاري إلى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ (١) .

بدأ عيسى يبحث عن رجال أمناء مؤمنون يصدقون رسالته ويحملونها من بعده إلى عباد الله فى الأرض ، فبعد أن أحس الكفر وعدم الإيمان من بنى إسرائيل ، لجأ إلى الحواريين ليخبرهم أمر رسالته التى أنزلها الله عليه ولقد تلقى الحواريون منهج الله ثم نقلوه إلى أقطار الأرض جميعها بصدق وأمانة .

هكذا لم يفلح بنو إسرائيل فى القضاء على هذا الدين الذى أمر بالعفو والتسامح ، فلقد كانت الشريعة اليهودية تقوم على القصاص .

(من ضربك على خدك الأيمن فاضربه على خده الأيمن).

---

(١) من سورة آل عمران مدنية آية ٥٢ .

ولكن كانت شريعة المسيحيين :

(من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر) .

كانت شريعة المسيح العفو والتسامح .

مضى عيسى فى رسالته ، ولكن لم يتركه اليهود ، فأخذوا يدبرون له المؤامرات والمكائد حتى أوقعوا به عند الرومان وحاولوا القبض عليه . فجاء لهم أحد تلاميذ المسيح الاثنا عشر ويدعى يهوذا الاسخريوطى وساومهم على تسليم المسيح لهم ، وقبض الخائن ثلاثين قطعة من الفضة وسلمهم المسيح .

تم القبض على المسيح عليه السلام وقرروا قتله ، وأقنعوا الرومان أن عيسى يدبر مؤامرة تهدد أمن دولة الرومان ، فقرر الكهنة صلبه على أساس أنه خارج عن دينهم ، ويختلف الدين المسيحى والدين الإسلامى حول صلب عيسى ورفعه إلى السماء فجميع الأناجيل تتفق على صلب عيسى عليه السلام وموته وقيامته من الموت وعلى طبيعته الإلهية الممتزجة بطبيعة البشر ، ومن معتقدات الدين المسيحى أن الرومان قد جلدوا السيد المسيح وعذبوه أشد العذاب وبعد أن انتهوا من جلده سلموه إلى الجنود حتى يتم صلبه ، وأن المسيح رأى العذاب بجميع ألوانه وإنهم سمروا يديه وقدميه على الصليب ، ورفعوه وهو معلق عليه بعد أن نزعوا ثيابه

وصلبوا معه لصين ووضعوا لافته فوق رأسه قالوا فيها (هذا هو يسوع ملك اليهود) كان القصد من ذلك السخرية والتنكيل بالسيد المسيح عليه السلام . كان هذا من وجهة النظر المسيحية .

أما القرآن الكريم فلقد قال لنا أن عيسى عليه السلام حينما توفاه الله ، رفع جسده أو روحه إلى السماء وتركه لفترة زمنية حتى يبعث يوم القيامة بإذن الله .

فالقرآن الكريم حدثنا أن الله نجا عيسى ولم يسمح لبنى إسرائيل بجلده أو صلبه والآية صريحة توضح ذلك :

﴿ وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم ﴾ (١)

أى اختلط عليهم الأمر ووقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول الذين صلبوه .

﴿ وما قتلوه يقينا ﴾ (٢) .

وقال تعالى :

﴿ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ﴾ (٣) .

---

(١) ، (٢) آية ١٥٧ من سورة النساء " مدنية " .

(٣) آية ١٥٨ من سورة النساء " مدنية " .

لقد رفع الله سبحانه وتعالى المسيح عليه السلام إلى السماء دون أن يصلب كما قال تعالى :

" إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا " (١) .

ولقد ورد فى الآثار أن السيد المسيح عليه السلام سوف ينزل فى آخر الزمان ولقد أعطى الإسلام لعيسى عليه السلام تقديرا وتبجيلا إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد خاتم المرسلين :

" الأنبياء إخوه دينهم واحد وأمهاتهم شتى ، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم ، فليس بينى وبينه نبى " .

صلوات الله وسلامه على المسيح بن مريم .

---

(١) من سورة آل عمران مدنية آية ٥٥ .

محمد صلى الله عليه وسلم

مولده ونشأته

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو محمد بن عبدالله ابن عبدالمطلب ، بن شيبه بن هاشم ، بن عبد مناف بن قصى ابن كلاب بن مره بن كعب بن لؤى ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانه ، بن خزيمه ، بن مدركه ، بن الياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان ، بن إسماعيل ، بن إبراهيم ، وأم اسماعيل هاجر من " أم العرب " وهى قرية كانت أمام الفرما من مصر .

وعن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك الانصارى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
" إذا افتتحتم مصر ، فاستوصوا باهلها خيرا ، فإن لهم ذمة ورحما " .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين وأشرف المرسلين فهو أشرف ولد آدم حسبا وأفضلهم نسبا ، من قبل أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم .

تزوجت آمنة بنت وهب ، بن عبد مناف ، بن زهرة ، ابن كلاب وهم يومئذ كانوا سادة بنى زهرة نسبا وشرفا ، تزوجت آمنة من عبدالله بن عبدالمطلب سليل الأشراف ، وكانت آمنة بنت وهب هى أفضل امرأة فى قريش حسبا ونسبا ، حملت آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الارض فقولى : (أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ، ثم سميه محمدا) . ورأت آمنة ـ رضى الله عنها حين حملت به ـ أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام .

وقبل أن يرى الوليد نور الدنيا ، مات أبوه وهو ما زال فى بطن أمه .

ولد محمد رسول البشرية صلى الله عليه وسلم فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول (عام الفيل) حين طلوع الفجر وهو وقت البركة ، كما قال صلى الله عليه وسلم .

" بورك لامتى فى بكورها " .

ولما روت آمنة بنت وهب على جده عبدالمطلب ما قيل لها وهى حامل بشأن هذا الوليد العظيم ، وما أمرت به أن تسميه ، نظر اليها عبدالمطلب وحمله ودخل به الكعبة المشرفة

وأخذ يدعو الله سبحانه وتعالى ويشكره على عطائه الكريم .

كانت حليمة السعدية هى مرضعة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولقد كان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم فى البوادى ، وظل محمد ينير ويبارك بيت حليمة السعدية أكثر من أربع سنوات ، وكان له إخوة فى الرضاعة وهم ، عبدالله بن الحارث وأنيسه بنت الحارث ، وحزافة بنت الحارث وهى الشيماء ، وهم لحليمة السعدية مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم . عاش الرصول صلى الله عليه وسلم مع امه آمنة بنت وهب وجده عبدالمطلب بن هاشم فى حفظ الله ، وقد نبت نباتا حسنا طيبا كريما .

ولما بلغ الرسول ست سنوات توفيت أمه آمنة بنت وهب ، " بالأبوار " . بين مكة والمدينة ، فى طريق عودتها بعد أن كانت فى زيارة لأخوال الرسول عليه الصلاة والسلام ولما ماتت أمه كفله جده عبدالمطلب وكان يعامله برقة ليس لها مثيل . وكان يفضله لما كان يظهر عليه ، من أن له شأنا عظيما .

ثم هلك عبدالمطلب بعد سنتين من كفالة محمد ، وفى السنة الثامنة من عمر الرسول ، كفله عمه أبو طالب ، وكان رجلا كريما . وكان عبدالمطلب قد أوصاه بابن أخيه خيرا .

وفى السنة الثانية عشرة من عمره سافر الرسول إلى الشام السفرة الأولى مع عمه أبى طالب ، وكان محمد مشتاقا للقيام بهذه الرحلة كل الشوق ، وفى أثناء تلك الرحلة رأى القوم غمامة تظلل محمدا من بين قومه ، ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبا منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتدلت أغصانها على رسول الله حتى إستظل بها صلى الله عليه وسلم . وفى هذه الرحلة أحس بعض القوم علامات النبوة على محمد صلى الله عليه وسلم . وكان أبرزها هو خاتم النبوة وموضعه فى ظهره بين كتفيه .

حذر المخلصون من القوم أبا طالب أن يرجع بابن أخيه إلى بلده سريعا إتقاء لشر اليهود ، فإن لـه لشأن عظيم ، لذلك أسرع به عمه أبو طالب حين فرغ من تجارته بالشام وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القافلة إلى مكة .

عاد صلى الله عليه وسلم ليرعى الغنم ويطوف بالكعبة وهو يسير نحو الشباب .

شبابه صلى الله عليه وسلم

شب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى يبارك خطواته ببركته ويحفظه من شرور وبلاء الجاهلية .

لما بلغ الرسول الكريم أربع عشرة سنة قامت حرب الفجار بين قريش ومن معهم من كنانة وبين قيس عيلان ، فأخرجه أعمامه معهم ، فشهد الرسول صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم فى الحرب . ولقد استمرت هذه الحرب ثلاث سنوات واستحلت فيها حرمات الكعبة .

إنه الآن يتقدم نحو السادسة عشرة ، وما يزال يرعى الغنم ثم يعود ليطوف بالكعبة ، ولقد لقب صلى الله عليه وسلم بالأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

كان يفكر فى والده ووالدته وجده الذين تركوه ويتأمل فى ملكوت الله عز وجل ، يتأمل حال مكة ، وحال فقرائها ، لكم رأى فى الكعبة ، أنه يعجب من أصنامها الصامتة ... أية آلهة هذه ؟ إنه يعجب مما رآه فى الكعبة .. رجال يطوفون بها عراة ونساء يطفن بأثواب شبه عاريات .

وفى السنة الخامسة والعشرين من عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان زواجه الأول من خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصى بن كلاب بن مرة ، بن كعب ، بن لؤى ، بن غالب كانت السيدة خديجة رضى الله عنها امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستعين بالرجال فى شئون تجارتها ، ولما علمت بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر شرفه ، وأمانته بين الناس ، أرسلت إليه أن يخرج فى مال لها تاجرا إلى الشام مع غلام لها يدعى (ميسرة) ووعدته بالأجر الأفضل مما أعطت لغيره .

كانت السيدة خديجة فى الأربعين امرأة جميلة شامخة تتمتع بالجمال والحسن ، ولقد مات عنها زوج بعد زوج ، وكلاهما تاجر واسع الثراء ، ومن أغنياء مكة .

أما محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان فتى جميل الوجه، واضح الملامح أقنى الأنف عريض الجبهة ، ثابت الخطوة ، ممشوق القوام متوسط الطول ، مهيبا ، يقظ العين ، ونظيف الثوب ، مرجل الشعر ، يفوح منه الطيب ، وريح الفتوة .

ومع كل هذه الصفات الحميدة كان على وجهه الضنى الذى جلبه له طول الفكر والعناء ، لما رآه فى مكة من الكفر والفجور .

قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج فى تجارة خديجة رضى الله عنها . واستقبلته خديجة أحسن استقبال ، لما سمعت عنه من خير الخصال ، وصحبه غلامها ميسرة إلى الشام .. باع رسول الله سلعته التى خرج بها إلى الشام واشترى ما أراد أن يشترى ثم عاد إلى مكة ومعه ميسرة .

باعت خديجة بما جاء به الرسول من رحلته مما ضاعف مالها ، وحدثها ميسرة عن أمر محمد ، وعن الراهب الذى تنبأ لمحمد بالنبوة ، وعما كان يسرى من ظلال الملكين إياه ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستظل بظل شجرة قريبة من أحد الرهبان ، فسأله الراهب من يكون هذا الرجل قال له ميسرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب :

ـ ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى .

أعجبت خديجة بمحمد كل الإعجاب لما سمعت القصة من ميسرة وأرسلت إليه بنفيسة بنت منية ، فأخبرته أن خديجة تريده زوجا لها .

لم يصدق محمد أمر ما سمع من نفيسة ، فكيف له وهو الفقير أن تقبله سيدة ذات ثراء واسع مثل خديجة ، فذهب محمد

إلى خديجة فاستقبلته صلى الله عليه وسلم وقالت لـه ، إنـى قد رغبت فيك لقرابتك وأمانتك ، وحسن خلقك وصدق حديثك .

لقد فضلتـه السيدة الطـاهرة علـى سـادة قريـش وأكـثرهم جاهـا وحسبا ونسبا ، وكـان خير مـا اختـارت خديجـة ، لقـد اختارت الرجل الأمين، أمينا على مالها، وعليها وعلى شرفها.

أقيمت الأفـراح بـدار خديجـة بنـت خويلـد وتـم الـزواج الكريم ، ونحرت الإبل على دار خديجـة ليأكل منهـا الفقـراء ، ورقصت جوارى خديجة للعروسين ، محمـد ابـن الخامسـة والعشـرين وخديجـة ذات الأربعيـن عامـا .. وفـى هـذه الليلة تصدق محمد صلـى اللـه عليـه وسلم علـى الكثيرين من الفقراء ، فلقد أباحت له السيدة الطاهرة أن يتصـرف فـى مالهـا ويصنع به ما يشاء .

فأرسل صلى اللـه عليـه وسـلم إلـى حليمـة السـعدية التـى أرضعته أربعين رأسا من الضـأن ترعـاهم فـى ديـار قومهـا ، لتعيش العيش الآمن طوال حياتها .

كـانت السيدة خديجـة هـى أول زوجـات الرسـول صلـى الله عليه وسـلم ولـم يـتزوج عليهـا غيرهـا حتـى مـاتت رضـى الله عنها .

وولدت له السيدة خديجة كل ولده إلا إبراهيم (القاسم) وكان يكنى به النبى صلى الله عليه وسلم فيقال له أبا القاسم والطاهر والطيب وزينب ورقية وام كلثوم ، وفاطمة رضى الله عنهم .. فأما القاسم والطيب والطاهر فقد هلكوا فى الجاهلية ، واما بناته فقد أدركن كلهن الإسلام فأسلمن وهاجرن مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأما إبراهيم فأمه مارية القبطية سرية النبى صلى الله عليه وسلم التى أهداها إليه المقوقس .

أحب الرسول صلى الله عليه وسلم ، السيدة خديجة حبا شديدا ، وكلما مر عام على زواجهما كلما رسخ فى قلبه حبها ومكانتها ، لقد تقاسما معا مسرات الحياة بما فيها من البيت الهادىء والزوجة المحبة الصالحة الحسناء ، والأولاد الذين يقرون الأعين وتطيب النفس لمرآهم .

ثم زادت ثروة خديجة رضى الله عنها على يدى الرسول صلى الله عليه وسلم واتسع الرزق بالصدق والأمانة ... وكيف لا يتسع رزق من سمى بالأمين .

وكما تقاسم الزوجان الحبيبان حلو الحياة ، تجرعا من مرها ، لقد اختلط الدمع والعرق ، وتجرع الزوجان كؤوس

الخديعة والخيانة ، ولكنهما قاوما الشرور بالخيرات ، فربحا بالصدق والأمانة .

ومع مرور الأيام أخذ وجه محمد صلى الله عليه وسلم ، يشع بنور الله فعاد محمد ينفرد بنفسه ، يتأمل فى ملكوت الله عز وجل ... كان يفيض بالثقة والرحمة ، والأمانة والحب ومع مرور السنين كلما زاد سنه كلما زاد صدقه ونقاؤه . أدرك ان لهذا الكون إلها واحدا لا شريك له ، لقد عبد قلب محمد ربه قبل أن يبعثه رب العرش إلى العالمين .

لقد حان وقت لقاء محمد بالحقيقة الأزلية التى التقى بها كل أنبياء الله ورسله من قبله .

لقد أحب صلى الله عليه وسلم العزلة ، فهداه الله سبحانه وتعالى إلى غار حراء حيث التقى بأعظم الرسالات النبوية وكانت فرحته صلى الله عليه وسلم بغار حراء عظيمة ، فكان يتعبد فيه معتكفا عن الناس ، زاهدا فى الدنيا ، شغوفا بحب ربه ، وهو فى الأربعين من عمره فى سن الكمال والنضج ، لقد زاد شوقا لله عز وجل .

نزول الوحى :

كان السكون يخيم على الغار ، والصمت يملأ المكان ، لكنه كان عامرا بقلب كبير وحب عظيم ، ألا وهو حب الذات الإلهية .

وفى يوم من الأيام الطاهرة ، فى يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان نزل عليه جبريل الأمين عليه السلام . فوجىء به الرسول صلى الله عليه وسلم ... احتضنه الملك وضمه إلى صدره بشدة وهو يأمره قائلا :

- اقرأ .

- قال محمد بن عبدالله : ما أنا بقارىء !

- عاد الملك يضمه لصدره ضما شديدا ، حتى ظن الرسول أنه الموت .

- ثم اطلقه الروح الامين وهو يأمره إقرأ .

- عاد يرد قائلا ما أنا بقارىء .

- ويعود الملك الكريم لاحتضانه ، ويعود لأمره أن اقرأ.

- ويجيب مرتجفا ماذا أقرأ ؟

- فضمه الملك ثالثة فقال له :

﴿ اقرا بأسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (١) .

ثم اختفى الوحى الكريم .

وهكذا وجد محمد ضالته المنشودة ..

هبط محمد إلى الصحراء وجسده يرتجف خوفا وقلقا ، وسار عائدا إلى بيته وزوجته قائلا لها وهو يرتجف :

دثرينى .. دثرينى ..

أخذت السيدة خديجة رضى الله عنها تغطيه بأغطية الصوف وتمسح عنه العرق ، ففوجئت بشحوب وجهه ، وارتعاشه . قص الرسول عليها ما حدث وحدثها أنه يخشى على نفسه فقالت له خديجة وهى تعلم أنها البشرى .

أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا .

---

(١) سورة العلق مكية الآيات من ١ : ٥ .

" إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتكرم الضيف وتقرى الضعيف وتعينه على نوائب الحق ، ثم أخذته السيدة خديجة إلى ورقة بن نوفل بن عمها ، ولما أخبره صلى الله عليه وسلم ، قال له :

" والذى نفسى بيده ، إنك لنبى هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الذى جاء موسى " .

وأخبره بأن قومه ، سيعادونه ويخرجونه ، ووعده بالنصر إن أدركه ذلك اليوم الذى يخرجه فيه قومه .

وهكذا .. أخذ الرسول الكريم يوالى العبادة والتأمل ، لقد أدرك أن الله تعالى قد بعثه رحمة للعالمين وبشيرا للناس أجمعين فما كان صلى الله عليه وسلم يرى رؤيا فى نومه إلا جاءت كفلق الصبح ... كان صلوات الله وسلامة عليه ، ما مر بحجر أو بشجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .. فيلتفت الرسول حوله ، وعن يمينه وعن شماله وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر والحجارة .

ابتدأ الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنزيل كلام الله عز وجل فى شهر رمضان المبارك بقوله تعالى :

﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ .

مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أداء رسالته الكريمة ، وهو مؤمن بالله عز وجل مصدق بما جاءه منه ، منتظرا ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى ، وكانت السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وأرضاها ، هى أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء به .

ثم توقف الوحى مدة ثلاث سنوات أو أقل ليذهب عنه ما وجد من الرعب وليحصل له الشوق .

لما طال غياب الوحى ، ظهر على النبى الأسى والحزن الشديد فكان يغدو إلى رؤوس الجبال يناجى الله عز وجل فيسمع جبريل عليه السلام يقول له : يا محمد إنك رسول الله حقا حتى أكرمه الله عز وجل فجاءه جبريل عليه السلام بسورة الضحى يقسم فيها الله سبحانه وتعالى لمحمد وهو الذى أكرمه كل الكرم ، ما ودعه أبدا وما قلاه ، فقال تعالى :

﴿ والضحى والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى .

ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى . فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ (١) .

جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من أمر النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله ، فأخفى أمره عن أهل مكة وأخذ يدعو إلى عبادة الله سرا ، وينشر نور الاسلام فى بيئة انتشر فيها ظلام الوثنية والشرك بالله .

وكان أول من صدق بدعوته صلى الله عليه وسلم زوجته السيدة خديجة رضى الله عنها من النساء ، ثم أبو بكر الصديق من الرجال ، ثم على بن أبى طالب من الغلمان ، وكان ابن عم الرسول ويعيش معه ، ثم عثمان بن عفان ، وطلحه بن عبيد الله والزبير بن العوام . وسعد بن أبى وقاص وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح . والأرقم بن أبى الارقم الذى جعل داره مركزا للدعوة إلى الاسلام سرا .

دخل الفقراء والبسطاء بعد ذلك فى الدين الإسلامى سرا،

---

(١) سورة الضحى مكية ١١ آية .

كما دخل بعد ذلك من الفقراء والبسطاء مثل بلال بن رباح الحبشى وأم بركة الحبشية ، ثم عبدالله بن مسعود وأبى ذر الغفارى ، وخالد بن أبى سعيد بن العاص .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يدعو الأفراد فردا فردا ، ولذلك سميت دعوته " بدعوة الأفراد " .

جا الملك جبريل إلى الرسول وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبة فى ناحية الوادى ، فانفجرت منه عين ، فتوضأ جبريل عليه السلام ليرى الرسول ، كيف الطهور للصلاة .

فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قام جبريل فصلى به وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته . ثم انصرف جبريل عليه السلام .

رجع الرسول إلى السيدة خديجة وأراها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل ، فتوضأت كما توضأ رسول الله وقام فصلى بها ، كما صلى به جبريل عليه السلام الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ، واستمر الرسول صلى الله عليه وسلم فى نشر دعوته سرا حتى بلغ عدد المسلمين نحو الأربعين ، فنزل قول الله تعالى :

﴿ فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين ﴾ (١) .

دخل الناس فى الإسلام رجالا ونساء حتى فشى سر الاسلام بمكة .

مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، مظهرا لأمره لا يرده عنه شيء . وأخذ يعيب آلهة قريش مما دعاهم إلى إعلان الحرب عليه والعداوة له ، ثم مشى بعض الرجالِ من أشراف قريش إلى عمه أبى طالب يشكون إليه محمدا فقالوا " يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا وإما ان تخلى بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافة" .

فقال لهم أبوطالب قولا رقيقا ، وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه .

بعد زيارة أشراف قريش لعم الرسول صلى الله عليه وسلم ، أرسل أبو طالب لرسول الله فقال له : يا ابن أخى إن

---

(١) سورة الحجر آية ٩٤ ، ٩٥ .

قومك قد جاءونى فقالوا لى : كذا وكذا . فأبقى على وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق .

أحس الرسول أن عمه قد خذله وأنه قد ضعف عن نصرته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" يا عم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ـ ما تركته " .

بكى رسول الله وقام ، فلما ولى ناداه أبو طالب ، فقال له : أقبل يا ابن أخى ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اذهب يابن أخى فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء أبدا .

لما علم أشراف قريش بما دار بين الرسول وبين عمه ، ذهبوا لعم الرسول يساومونه بأمر الخلاص منه وقتله ، وقالوا له إنه خالف ديننا ودين آبائنا وفرق جمع قومنا ، وسفه أحلامنا فلنقتله .

رفض أبو طالب أن يسلم ابن أخيه إلى بنى قريش ليقتلوه ، وقال لهم أن يذهبوا عنه ويفعلوا ما يشاءون اشتد الخلاف بين قريش وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وبين عمه أبوطالب .

حميت الحرب وتنابذ القوم ، وأخذت قريش في مطاردة الرسول وأتباعه خوفا منها على مركزها بين العرب مما يضعف شوكتها ، فلو اجتمع العرب على دعوته ، لقضى على قريش .

زاد حقد قريش على الرسول وأصحابه ، وأخذوا يخططون لتعذيبه وأصحابه جزاء تسفيه آلهتهم ، وأخذت كل قبيلة تعذب المسلمين فيها أشد العذاب .

روى ابن اسحاق عن عبدالله بن عباس (أن المشركين كانوا يضربون المسلم ويجوعونه ويعطشونه حتى كان لا يقدر على الجلوس من شدة الضرب ليرتد عن دينه ، ويقول آمنت باللاة والعزى ، وكان بعض المسلمين يقول كلمة الكفر وقلبه مطئمن بالإيمان فرارا من أذاهم) .

ولقد فرق الله تعالى بين هؤلاء وبين من ارتد عن الإسلام وانشرح صدره للكفر بقوله تعالى :

﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ (١) .

---

(١) سورة النحل آية ١٠٦ .

ويقول ابن الأثير ، إن مشركى قريش كانوا يخرجون عمار بن ياسر وأباه وأمه إلى الأبطح (١) إذا حميت الرمضاء (٢) ويعذبونهم بحرها ، فيمر بهم الرسول فيقول :

" صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة " .

مات ياسر من العذاب ولم تتحمل امراته سمية فأغلظت القول لأبى جهل فما كان منه إلا أن طعن سمية بحربة ، فماتت سمية .. وكانت أول شهيدة فى الإسلام ، ثم لحقها عمار شهيدا . ثم أخذ إيذاء المشركين لرسول الله إلى أن تعدى أبو جهل على الرسول .

ولما بلغ أمر إيذاء الرسول إلى حمزة عم محمد عند عودته من صيد ذهب حمزة إلى أبى جهل فضربه فى وسط قومه على رأسه وقال له :

" أتؤذى محمدا وأنا على دينه " فقال القوم : " ما نراك إلا قد صبأت " (٣) قال لهم :

" وما يمنعنى وقد استبان لى منه وأنا أشهد أنه رسول

---

(١) فضاء واسع فيه حصى دقيق حول الكعبة .
(٢) الرمض هو شدة وقع الشمس على الرمل .
(٣) خرجت عن دين آبائك .

الله ، وان الذى يقوله هو الحق والله لا أتركه أبدا " .

فذهب للرسول وقال : " أشهد إنـك الصـادق ، فـأظهر يـا ابن اخى بدينك " واستمر معه فى العبادة فى دار الأرقم . ولمـا أسلم حمزة رأت قريش أن اصحاب الرسـول صلـى اللـه عليـه وسلم قد كثر عددهم وأخذ الإسلام يفشو بمكة فى قبـائل قريـش رجالا ونسـاء . حبسـت قريـش منهـم مـا إستطاعت ، وعذبـت منهم من عذبت .

بعث رجال قريش لمحمد صلى الله عليـه وسـلم فقـالوا : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم .

جاءهم الرسول فقـالوا لـه : يـا محمـد إنـا قـد بعثنـا إليك لنكلمـك وإنـا واللـه مـا نعلـم رجـلا مـن العـرب أدخـل علـى قومـه مثـل مـا أدخلـت علـى قومـك ، ومـا بقـى أمـر قبيـح إلا قـد جئتـه فيمـا بيننـا وبينـك وإن كنـت غير قـابل منـا شـيئا عرضناه عليك ، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ولا أقل ماء ، ولا أشد عيشا منا ، فسـل ربـك الـذى بعثـك بما بعثك به ، فليسير عنا هذه الجبال التـى قـد ضيقـت علينـا ، وليبسـط لنـا بلادنـا ، وليفجـر لنـا فيهـا أنهـارا ، كأنهـار الشـام والعراق . وليبعث لنا من مضى من آبائنا فقال لهم صلـى اللـه عليه وسلم :

ما بهذا بعثت اليكم إنما جئتكم من الله بما بعثنى به وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بينى وبينكم .

قالوا : فإذا لم تفعل لنا فخذ لنفسك ، سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ، وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بهما عما نراك تبتغى ، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم .

فقال صلوات الله عليه وسلامه :

ما بعثت إليكم لهذا ، ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا .

قالوا : فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل .

قال الرسول : **ذلك إلى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل .**

ثم انصرف الرسول عنهم حزينا آسفا لما رآه من قومه الذين لا يهتدون .

فقال أبوجهل :

يامعشر قريش إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب

ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وشتم آلهتنا ، وإني لأعاهد لأجلسن له غدا بحجر ، ما أطيق حمله . فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه ، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم .

قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبدا فامض لما تريده .

وفي الصباح جلس أبوجهل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره فقام الرسول للصلاة ، فلما سجد حمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزما ، مرعوبا ، لقد يبست يداه على حجره ، حتى قذف الحجر من يده ، فقال له : رجال قريش ما لك يا أبا الحكم .

قال : قمت إليه لأفعل ما قلت البارحة ، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته قط ، ولا أنيابه لفحل قط ، فهم أن يأكلني ، فلما قال لهم ذلك أبوجهل .

قام النضر بن الحارث فقال :

يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما ، حدثا ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، حتى اذا رأيتم في صدغيه

الشيب ، وجاءكم بما جاءكم بـه قلتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، وقلتم : كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، وقلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر وقلتم : مجنون لا والله ما هو بمجنون .

يا معشر قريش فانظروا فى شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم .

وبالرغم من كل هذه الأحداث ، استمرت قريش فـى عدوانها على المسلمين وتعذيبهم بشتى ألوان العذاب ، وكان بلال طاهر القلب ، صادق الإسلام ، وكان اذا حميت الظهيرة يطرح على ظهره فى بطحاء مكة ، وتوضع الصخرة العظيمـة على صدره ويقول لـه أمية بن خلف بن وهب بن حزافة ابن جمح : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى .

ويقول بلال وهو فى ذلك البلاء العظيم (أحد أحد .. أحد أحد) ولما رآه أبوبكر وهو يتألم من العذاب ، عرض على سيده أميه بن خلف أن يعطيه إياه على أن يستبدله لـه بفتى أقوى منه على دينه، فقبل أمية بن خلف وقال لأبى بكر هو لك

فأخذه أبو بكر فأعتقه وأعتق معه ست رقاب فكان بلال سابعهم فى العتق والإسلام .

وشهد المسلمون فى تلك الايام إسلام عمر بن الخطاب وكانت قصة تدور حول إسلام أخته فاطمه بنت الخطاب التى عابه قومه بإسلامها ، فذهب عمر بن الخطاب إلى أخته فى دارها ولطمها على وجهها ، فسال منه الدم ، فقالت له : أتضربنى يا عدو الله على أن أوحد الله ، لقد أسلمت رغم أنفك يا ابن الخطاب ، فما كنت فاعلا فافعل .

أخذت عمر بن الخطاب الشفقة بأخته وجلس معها فوجد صحيفة عندها فأخذها بعد أن تطهر وقرأ :

" **طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** " (١) .

أسلم عمر بن الخطاب وأعلن إسلامه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد فرح رسول الله أشد الفرح بدخول عمر بن الخطاب فى الإسلام فى الوقت الذى حزنت فيه قريش أشد الحزن ، وأصابتها كآبة لم تصبها من قبل بسبب إسلام عمر بن الخطاب .

---

(١) أول سورة طه .

الهجرة إلى الحبشة

ولما اشتد أذى قريش للمسلمين أمر الرسول أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فى السنة الخامسة للنبوة وكانت أول هجرة من مكة وعدد أصحابها عشرة رجال وخمس نسوة ، ثم رجعوا بعد ثلاثة أشهر .

لقد هاجر الصحابة كما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة فرارا من عذاب قريش ، مخافة الفتنة ، فرارا إلى الله بدينهم .

قال الرسول لأصحابه ، " **تفرقوا فإن الله سيجمعكم** " وفى ذلك الوقت أسلم حمزة عم الرسول وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

ولما علمت قريش بأمر هذه الهجرة أرسلت وفدا إلى النجاشى ملك الحبشة ، فاستمع النجاشى إلى وفد قريش كما استمع إلى وفد المهاجرين ، وكان يعرف عن النجاشى الصدق والعدل ، ولما قرأ جعفر بن أبى طالب جزءا من سورة مريم قال النجاشى :

" هذه كلمات تصدر من النبع الذى صدرت منه كلمات السيد المسيح . وإن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة " .. وأحسن إلى المسلمين وأكرمهم .

فشلت خطط قريش ، ومكائدها التى دبرتها للرسول وأصحابه فى الحبشة ، فأجمعوا على المقاطعة .

قاطع بنو قريش بنى هاشم وبنى عبد المطلب وعاهدوا أنفسهم ألا يكون لهم معهم تجارة ، حتى يسلموا إليهم رسول الله فيقتلوه ، وكتبوا بذلك صحيفة علقوها فى جوف الكعبة وظلوا على هذا الحال سنتين أو ثلاثا .

لم يستطع بعض القرشيين أن يروا أقرباءهم يتألمون كل هذا الألم وتعاهدوا على نقض الصحيفة . فشقوها .

وبذلك نقض العهد وعاد بنو هاشم والمطلب إلى حياتهم الطبيعية . وفى السنة العاشرة من نزول الوحى مات أبوطالب عم الرسول وحاميه ، مات على الكفر برغم تصديقه لرسول الله ونصرته إياه .

ثم ماتت السيدة خديجة بعد أبى طالب وكان موتها قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين .

وبموت أكبر نصيرين للرسول صلى الله عليه وسلم حزن حزنا شديدا وتتابعت عليه المصائب واشتد أذى قريش له أكثر من ذى قبل .

رحل الرسول إلى الطائف عله يجد عند ثقيف من ينصره ويسمع إليه ويهتدى بهديه .

استقبلته ثقيف رميا بالحجارة حتى شجوا رأسه وأدموا قدميه الشريفتين ، فاتكأ على الحائط وأخذ يتضرع إلى الله ويدعوه دعاء حارا من قلبه الذى يشع فيه نور الايمان وهو يقول :

" اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى . وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربى . إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك . لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله " .

أراد الله سبحانه وتعالى أن يخفف عن رسوله ما رآه فى الطائف فأراد أن يخصه بخصائص لم يمنحها لأحد سواه فكانت المعجزة الكبرى وهى معجزة الإسراء والمعراج ، والإسراء

هو انتقاله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس وقد ذكر فى القرآن الكريم صراحة . والمعراج هو صعوده من الارض من بيت المقدس إلى السماء إلى حيث شاء الله عز وجل ولكن لم يذكر القرآن الكريم ذلك صراحة ، ولكن ألمح الله سبحانه وتعالى عنه فى سورة النجم .

وكذلك قال العلماء :

" منكر الاسراء كافر ومنكر المعراج فاسق " .

الإسراء والمعراج

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الليلة مقاما لم يبلغه أحد سواه ، لا نبى مرسل ، ولا ملك مقرب ، فكانت ليلة الاسراء والمعراج هى أفضل ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد تشرف عليه الصلاة والسلام بمناجاة الحق تبارك وتعالى فى هذه الليلة .. وسجد بين يديه .

وقال الله تبارك وتعالى :

﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام

إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير " (١) .

وفى ليلة الإسراء والمعراج فرض الله الصلاة ، لقد أسرى الله برسوله ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به إلى السماء حتى سدرة المنتهى . فبينما كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نائما : أتاه جبريل فأيقظه وخرج معه : فإذا أمامهما دابة بيضاء هى : البراق وركبها الرسول وسارت الدابة وجبريل ـ معه ـ كما قال صلى الله عليه وسلم " لا يفوتن ولا أفوته " حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم ، وموسى ، وعيسى فى نفر من الأنبياء فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى بهم ، ثم أتى بإناءين : بأحدهما خمر ، وبالآخر لبن ، فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم إناء اللبن وشرب منه ، وترك إناء الخمر

فقال له جبريل :

" هديت للفطرة ، وهديت أمتك ، وحرمت عليكم الخمر".

وتروى كتب السيرة : أن رسول الله ، صلوات الله

---

(١) الآية (١) سورة الاسراء مكية .

وسلامه عليه أتاه ليلة الإسراء آت ، فشق صدره ، ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا ، فأفرغه فى صدره الشريف ثم أطبقه .

ولما انتهى الرسول الكريم من بيت المقدس : عرج به إلى السماء وأخذ يرتقى سماء سماء . ثم تجاوزها جميعها إلى سدرة المنتهى ، وإلى قاب قوسين أو أدنى ، وهناك حيا الرسول عليه الصلاة والسلام ربه .

" التحيات لله والصلوات والطيبات " ...
وحياه الله ، سبحانه وتعالى ...
" السلام عليك : أيها النبى ورحمة الله وبركاته " .

وقال الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه :

" السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فى هذه اللحظات الخالدة التى لا يمكن لبشر أن يصفها فرض الله سبحانه وتعالى الصلاة على الامة الإسلامية . لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة سلسلة من الأنوار أرسلها الله إلى العالم لتهدى إلى الرشاد ولتقود إلى الله ، ولتسمو بالمؤمنين درجات فى معارج القدس ، لتصل بهم إلى الكمال عن طريق الإرشاد الإلهى .

لقد أنزل القرآن الكريم معجزة المعجزات على محمد فكان خاتم الكتب وأكملها ومهيمنا عليها .

ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلق بأخلاق أكمل كتاب ربانى فهو إذن أكمل رسول صلوات الله وسلامه عليه .

ومن هنا كانت إمامته بالرسل والأنبياء فى بيت المقدس ولأنه كان أكمل رسول كان أقرب المقربين لله سبحانه وتعالى وبمعجزات الله عز وجل تخطى محمد الأرض والسموات وتجاوز الكون كله ، فوصل إلى ما لم يصل إليه بشر بل إلى ما لم يصل إليه جبريل نفسه عليه السلام .

لقد بلغ الرسول فى معراجه إلى درجات تجاوزت فى روحانيتها آدم فى سمائه الأولى ، ثم تجاوزت يحى وعيسى ، عليهما السلام فى سمائهما الثانية ثم تجاوزت يوسف عليه السلام فى سمائه الثالثة وهكذا حتى تجاوزت روحيا ، ابراهيم عليه السلام فى سمائه السابعة وتجاوز الكون كله إلى سدرة المنتهى . إلى شجرة النهاية حيث لا يبلغ ملك مقرب ولا نبى مرسل .

هذا هو مقام الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم متفانيا فى نشر الدعوة فلم يكف عنها لحظة واحدة ومع ذلك فلقد جعلها تربية قرآنية لرجال يؤهلهم الله ورسوله لحمل راية الاسلام ونشر دعوته وكانت الفترة من الإسراء إلى هجرة الرسول ، كانت فترة تربية وصقل وتعليم وتهذيب .

لقد هيأ الله سبحانه وتعالى الأمر لانتشار الإسلام خارج مكة . وفى مكة كان هناك ستة نفر من الانصار ، فدعاهم الرسول إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن . فأسلموا ولما عادوا إلى المدينة بشروا بالإسلام فى قومهم .

كثر فى المدينة الحديث عن الإسلام ، وفى العام التالى حضر اثنا عشر رجلا إلى الرسول وبايعوه وكانت بيعة فضيلة وخير ، بيعة على العمل بالمثل الأخلاقية العليا ونشرها .

عاد المسلمون إلى المدينة بوجوه عليها نور الإسلام وبقلوب انغمست فى الرحمة وأخذوا يدعون إلى الله مبشرين ومنذرين .

ولما اشتد البلاء على المسلمين من المشركين هاجروا إلى يثرب بعد أن سمح لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ المسلمون يهاجرون سرا مهاجرين للعمل على إعلاء كلمة

الله ونشر دينه ولو كره الكافرون . لقد ذهبوا لقيادة المعركة فى سبيل الله .

هاجر المسلمون جماعات ولم يبق منهم بمكة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر وعلى رضى الله عنهما أو مريض أو عاجز عن الخروج .

ولما حان الرحيل ودع رسول الله مكة بهذه الكلمات المؤثرة :

" والله ، إنك لأحب البلاد إلى نفسى ، ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت " .

ثم مضى والصديق إلى غار ثور فدخلاه .

ولما علم المشركون بأمر الرحيل مكروا بالرسول ودبروا لقتله .

﴿ ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين ﴾ .

دخل الرسول ومعه الصديق إلى الغار وكان الصديق حزينا على الرسول فجاءه النداء الإلهى على لسان الرسول " **لا تحزن ، إن الله معنا** " .

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ورفيقه بعد أن نجاهما الله من المشركين وبينما هما فى الطريق لحق بهما سراقة بن مالك على فرس يسابق الريح ليأسرهما ويفوز بالجائزة التى وعد بها المشركون من يأتى بالرسول قتيلا أو أسيرا .

فلما اقترب منهما .. دعا عليه رسول الله ، فرسخت قوائم فرسه فقال : يا محمد ، ادع الله أن يطلق فرسى وأرجع عنك وأرد من ورائى ، ففعل ، فأطلق ورجع الناس يلتمسون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ارجعوا فقد استبرأت لكم ما هاهنا ، وقد عرفتم بصرى بالأثر ، فرجعوا عنه وسار ركب الرسول صلى الله عليه وسلم فى رعاية الله وحفظه حتى وصل إلى المدينة فاستقبله أهلها بـ :

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة	مرحبا يا خير داع

ومن أعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة :

١ – بناء المسجد ، المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم .

٢- المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ، تحقيقا لمبدأ من مبادىء الدين الاسلامى يتمثل فى قوله تعالى :
﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ .

وللهجرة أيضا وجه آخر ، فالمؤمن يهاجر إلى الله بعلمه ويهاجر إليه بعمله الخير .

فالصلاة فرارا من البيئة والمادة ، إلى الوقوف بين يدى الله ومناجاته فهى هجرة إلى الله عز وجل .

والزكاة انفصال عن جزء من المادة تقربا إلى الله ، فهى ذهاب اليه .

والصوم ابتعاد عن المادة فترة من الزمن تزكية للنفس وتقرب إلى الله فهو ذاهب اليه .

أما مناسك الحج فإنها صورة من التجرد لله بلغت الذروة وتبلورت فى النداء الروحى الكريم (لبيك اللهم لبيك) وبذلك فإن الصورة التامة الكاملة للهجرة الإسلامية الكبرى إنما تتمثل فى أروع مظاهرها فى قوله تعالى :

﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ .

واذا تحدثنا عن المعجزة فى القرآن الكريم فلنذكر أن معجزة القرآن تختلف عن معجزات الرسل الأولين .

فلقد كان لكل نبى معجزة وكتاب ومنهج ... فكانت معجزة موسى العصا ومنهجه التوراة ، ومعجزة عيسى الطب ومنهجه الإنجيل ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزته هى عين منهجه ليظل المنهج محروسا بالمعجزة وتظل المعجزة محروسة بالمنهج ... فالقرآن معطى لكل عقل قدر حجمه فيطرب به غير المتعلم ويرضيه وكذلك نصف المتعلم فهذا إعجاز والمتبحر فى العلم يجد فى القرآن إعجازا فى بلاغته ، فهو يخاطب كل العقول ويخاطب كل القلوب بالرغم من اختلاف الثقافة والبيئة والحالة النفسية بين البشر وهذا إعجاز ما بعده اعجاز إنه يخاطب أجناس مختلفة وشعوب وثقافات ولغات وبيئات مختلفة ، فهو يصل إلى القلب متغلغلا بالنفس فيدخل عليها السعادة تلك هى نفوس المؤمنين التى تنشرح للإسلام .

وهكذا فالقرآن يخاطب المتعلم وغير المتعلم .. العبد والسيد ... الرجل العادى والحاكم ... ومن هنا كانت المعجزة.

فى السنة الأولى من الهجرة بنى الرسول . صلى الله عليه وسلم مسجده الشريف بالمدينة وقد عمل فيه بنفسه ، حتى يرغب المسلمين فى العمل فيه .

وشرع فيه الآذان حتى يجتمع الناس للصلاة متى حان الوقت لها . رأى اليهود رسوخ قدم الاسلام فى المدينة فأخذهم الحقد والحسد والبغضاء وساعدهم على ذلك المنافقين من عرب المدينة .

ثم عقد الرسول مع اليهود عقدا على أن يتركوا أذاه ويترك محاربتهم ولكن اليهود جاهروا بالعدوان وأرادوا حرب المسلمين .. فقاتلهم المسلمون وأصبح أمر الجهاد عاما بين المسلمين .

وبذلك يتبين لنا أن الدين الاسلامى لم يقم بالسيف ، وإنما قام بالدعوة والحجة والإقناع والمنطق .

أما السيف فإنما شرع لحماية الدعوة ودفع المعارضين لها . وبدأت غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم .

غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم

كانت أولى الغزوات هى " غزوة ودان " ثم " غزوة بواط " ثم " غزوة العشيرة " ثم " غزوة بدر الأولى " وتسمى " غزوة صفوان " .

وكانت أول عملية فى الإسلام عندما أرسلت سرية برياسة عبدالله بن جحش لاعتراض عير قريش القادمة من الشام ، فأصابوها ورجعوا ظافرين .

وفى تلك السنة كذلك تحولت ـــ القبلة ـــ عن بيت المقدس إلى الكعبة بعد أن مكث المسلمون يتوجهون إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا .

وفى شهر شعبان من تلك السنة فرض صوم رمضان وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يصوم قبل ذلك ثلاثة أيام من كل شهر .

ثم وجبت بعد ذلك زكاة الفطر ، ثم فرضت الزكاة على الأغنياء وهى زكاة المال بأن يعطى الغنى بعضا من ماله للفقير فيحب الفقير الغنى ويعطف الغنى على الفقير .

غزوة بدر الكبرى :

وفى السنة الثانية وقعت " **غزوة بدر الكبرى** " وهى ثانى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم . انتصر فيها الرسول على قريش فلقد خرج النبى ومعه ثلثمائة وثلاثة وعشرون رجلا ، مائتان وأربعون من الأنصار والباقون من المهاجرين وكانت أول مرة تخرج فيها الأنصار مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

خرج الرسول وأنصاره ليعترض عير قريش العظيمة وهى راجعة من الشام ، وهى التى فاتته فى غزوة العشيرة .

ولما علمت قريش خرجت بألف رجل .

وإلتقى الجمعان فى بدر .. كان يوما من أشد الأيام فالمسلمون عددهم أقل من عدد المشركين بكثير ... ولكن أيد الله وملائكته المسلمين ، ويروى أن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر . فانهزمت قريش فى ساعات بسيطة تاركة ساحة الحرب تاركة سبعين قتيلا ، وسبعين أسيرا .

ولقد غنم المسلمون غنائم كثيرة فى هذه الغزوة .

وكان هذا اليوم هو يوم الفرقان الذى أعز الله به الإسلام وقال تعالى ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة** ﴾ .

أما الأسرى فلقد افتدتهم قريش ، وكان الفداء من أربعة آلاف درهم إلى ألف درهم . ومن لم يكن معه مال الفداء وهو يحسن القراءة والكتابة أعطوه عشرة صبية من المدينة ليعلمهم وكان ذلك فداءه ، وبذلك يعتبر رسول الاسلام هو أول من كافح الأمية وسعى إلى نشر العلم وبث روح التوعية والعرفان .

غزوة قرقرة الكدر ، وقينقاع والسويق :

خرج الرسول فى غزوة قرقرة الكدر يريد بنى سليم ولم يكن حرب لأنه لم يلق أحدا ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة . ثم غزوة قينقاع وهى التى حاصر فيها الرسول عليه الصلاة والسلام اليهود بعد أن نقضوا عهدهم وجاهروا بالعداوة .

ولما رأى اليهود عجزهم سألوا الرسول أن يخلى سبيلهم ولهم الذرية والنساء وله الأموال ، قبل الرسول وطردهم من المدينة .

ثم (غزوة السويق) خرج فيها الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أبا سفيان لخروجه لغزو المسلمين .

وهرب أبو سفيان ومن معه . وفيها غنم المسلمون السويق وهو الدقيق الناعم من الحنطة أو الشعير ، فلقد ألقاه المشركون وهم هاربون فغنمه المسلمون .

وفى هذا العام سن الله سبحانه وتعالى على المسلمين صلاة العيد فى يومى عيد الفطر والاضحى فيجمع الرسول الكريم المسلمين فيصلى بهم ركعتين ثم يخطب فيهم واعظا ومذكرا ، ان يكونوا كالجسد الواحد لا فرق بين عربى أو أعجمى إلا بالتقوى . ثم يصافح المسلمون بعضهم بعضا ثم يخرجون لآداء الصدقات ، وأضحية عيد الأضحى .

فى هذا العام كان زواج السيدة فاطمة رضى الله عنها بعلى بن أبى طالب كما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها وأرضاها .

غزوتا غطفان وبحران :

أما غزوة غطفان فقد خرج الرسول إليها يريد جمعا من بنى ثعلبة ومحارب كانوا يريدون الإغارة على المدينة ومعه (دعثور بن الحارث المحاربى) وأربعمائة وخمسون فارسا .

فلما علموا بخروج الرسول هربوا وسط الجبال متفرقين وفى هذه الغزوة اتكأ الرسول تحت شجرة ليستريح فجاء (دعثور) يريد قتله بغتة ، فلما أحس الرسول قال دعثور من يمنعك منى يا محمد ؟ قال الرسول : الله تعالى ... فوقع السيف من يد الرجل هيبة وذعرا فتناوله الرسول وقال له : من يمنعك منى ؟ فقال دعثور : لا أحد . فعفا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فأسلم الرجل ودعا أصحابه إلى الإسلام ، فكان موقفا جليلا يشهد فيه التاريخ بشموخ أعظم رجل فازت به البشرية .

ـ وفى (غزوة بحران) فلقد سار إليها الرسول ومعه ثلاثمائة من أصحابه ، يريد بنى سليم ، عندما علم أنهم يريدون الإغارة على المدينة .. فوجدهم قد تفرقوا ولم يلق حربا .

غزوة أحد :

سارت قريش لحرب المسلمين أخذا بثأر من قتل من أشرافهم يوم بدر وكان رجال قريش وحلفاؤهم ثلاثة آلاف رجل خرج الرسول ومعه ألف رجل واصطف الجيشان للقتال والتقى الجمعان فكان النصر للمسلمين . ولكن خان خالد بن الوليد أصول الحرب فهرع إلى الجبل فقد كان خاليا من الرماة وكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل ، فقتلوا عبدالله بن أبى ومن معه ثم انعطفوا على المسلمين من ورائهم وهم مشتغلون بالدنيا . فانهزم بعض الصحابة مثل أبو بكر وعمر وعلى . وحاول المشركون قتل النبى فى هذه الغزوة التى كان المشهد الأول منها انتصارا ومشهدها الثانى هزيمة بسبب انشغال المسلمين عن الحرب بمشاغل الدنيا وغنائمها . فحاول عثمان بن عبدالله بن المغيرة قتل رسول الله ، فقتله الحارث بن الصمة .

ثم جاءه أبى بن خلف يريد قتله فرماه الرسول صلى الله عليه وسلم بحربة فقتله ، ولم يقتل رسول الله غيره .

ولقد كان عدد قتلى المسلمين يزيدون على السبعين كان ستة منهم من المهاجرين والباقون من الأنصار . ولقد مثلت

قريش بقتلى المسلمين تمثيلا فظيعا وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون .

وفى هذه المعركة قتل حمزه عم الرسول أخذا بثأر طعيمة الذى قتله حمزة يوم بدر وجاءت امرأة أبى سفيان فشقت بطنه واستخرجت كبده ومضغتها بفمها وهكذا سلط الله سبحانه وتعالى البلاء على المسلمين فى هذه الغزوه بعد أن نصرهم وأيدهم ، وكان ذلك جزاؤهم ، جزاء طمعهم فى أمور الدنيا وانشغالهم بها عن أمور الآخرة فقال تعالى :

﴿ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليهم ، ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ (١) .

غزوات حمراء الأسد :

وفى غزوة حمراء الأسد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم يريد قريشا صبيحة يوم أحد خوفا من رجوعهم إلى المدينة ولكن لم يلق حربا لأن المشركين فروا من تجمع

(١) سورة آل عمران مدنية الآية ١٥٢ .

الجموع وتضييق خناق المسلمين عليهم . وفى تلك السنة تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعد موت أختها رقية ولذلك سمى عثمان : (ذا النورين).

كما تزوج صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، وزينب بنت خزيمة ، وولد الحسن بن على رضى الله عنهما .

وفى هذا العام حرم الله سبحانه وتعالى الخمر وجاء التحريم على مراحل لصعوبة ذلك على القوم لمحبتهم لها ، فحرمت أولا فى الصلاة .

﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ .

ثم حرمت قطعا بقوله تعالى :

﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ... ﴾ .

ولم يذق رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه الخمر مدى حياتهم إطلاقا .

غزوة بنى النضير

وقعت فى السنة الرابعة حاول فيهـا اليهـود قتل الرسـول وهـو فـى ديـارهم ، لقد خـانوا العهـد الـذى كـان بينهـم وبيـن الرسول على أن يأمن كل مـن الجـانبين الآخـر .... ولمـا علـم الرسول أمر خيانتهم أمر بطردهم من البلاد فأطاعوا ثم امتنعوا فحـاصرهم المسـلمون حتـى أجبروهم علـى الرحيـل . ورحـل اليهود عن البلاد فى غزوة بنى النضير .

غزوة ذات الرقاع

خرج فيها الرسـول لقبـائل نجـد وهـم بنـو محـارب وبنـو ثعلبة•لأنهم تهيأوا لحرب المسلمين .. لكنهـم هربـوا لمـا علمـوا بخروج الرسول إليهم وأنـزل اللـه فـى قلوبهـم خوفـا ورهبـة . وفى هذه الغزوة نزل جبريل عليـه السـلام (بصـلاة الخـوف) ونزلت فيها أيضا رخصـة (التيمم) .

وفى السنة الرابعة وقعت أحداث أخرى ... فوقعـت فيهـا غزوة بدر الأخرى التى خرج فيهـا الرسـول لقتـال أبـى سـفيان ولكن أبا سفيان أخلف الوعد .

وفى تلك السنة أيضا توفيت زينب بنت خزيمة زوج الرسول وولد الحسين بن على رضى الله عنهما .

وتزوج صلى الله عليه وسلم أم سلمة " هندا " .

غزوة دومة الجندل

وهى الغزوة التى خرج فيها الرسول ومعه ألف رجل يريد جمعا من الأعراب يظلمون من مر بهم وقد عزموا على غزو المدينة فلما اقترب منهم فروا هاربين وتركوا ماشيتهم ، فأخذها المسلمون ورجعوا سالمين غانمين .

غزوة بنى المصطلق

وبنو المصطلق هم الذين ساعدوا قريشا على حرب المسلمين فى أحد ، فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى جمع كبير ، فلما علموا بخروج النبى خافوا خوفا شديدا وتفرقوا .

وكان من أسرى هذه الغزوة من نساء الأعداء (برة بنت الحارث) سيد القوم ، ولقد تزوجها رسول الله عليه الصلاة والسلام وسماها (جويرية) وكان من أسرتها لدى المسلمين مائتا أسير ، فلما تزوجها الرسول أمر بعتقهم فلا ينبغى أن يكون من أصهاره أسيرا بين يديه .

وكان كرم الرسول العظيم هو السبب فى إسلام بنى المصطلق جميعا فبسياسة الرسول بزواجه من بنت الحارث أصبح بنو المصطلق أعوانا للمسلمين بعد أن كانوا أعداءهم .

غزوة الأحزاب (الخندق)

خرج فيها اليهود وأحزابهم لحرب المسلمين كما خرجت قريش وعلى رأسها أبو سفيان وسار الجميع تحت قيادة أبى سفيان قاصدين المدينة .

اجتمع الرسول بأصحابه وتشاور معهم بأمر هذا الزحف الهائل هل يخرجون لمقابلتهم أم يمكثون بالمدينة . فأشار عليه سلمان الفارسى بعمل خندق حول المدينة . وتحصين مداخلها.

أسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى

حفر الخندق شمال المدينة من الحرة الشرقية الى الحرة الغربية

وتم حفر الخندق فى ستة أيام ، ولقد قاسى المسلمون فى حفره الكثير ولقد اشترك الرسول فى حفره بنفسه وهو عاصب بطنه بحجر من شدة الجوع .

حصنت البيوت المواجهة للخندق وأخليت القرية من النساء والأطفال الى المنازل البعيدة عنه .

كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف وكان لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة وأما المشركون واليهود فلقد حاصروا المدينة وضيقوا عليها تضييقا شديدا، واستمر الحصار خمسة عشر يوما. اشتد البلاء ، فنقض اليهود عهودهم وأبرز المنافقون نفاقهم ، وعظم خوف المسلمين لأن العدو أتاهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، فأرسل الرسول خمسمائة مقاتل لحراسة المدينة خوفا على النساء والأطفال .

وحدثت المعجزة الإلهية . لقد نجى الله المسلمين من هذا البلاء العظيم وذلك بأن سلط سبحانه وتعالى على الأعداء ريحا شديدة ليلا وجنودا لم يروها ، فهبت ريح عاتية ، فقلعت الأوتاد ، وألقت عليهم الأبنية وكفأت القدور ، وسفت عليهم التراب ، ورمتهم بالحصى فهربوا من ليلتهم وفى البخارى :

دعا رسول الله على الأحزاب فقال : **اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم .**

وهكذا هرب الأحزاب المحاصرون من خوف ما أصابهم وأراح الله المسلمين من هذه النقمة .

ولقد قتل على بن أبى طالب عمر بن ود العامرى فى هذه الغزوة ، وقد أقام المسلمون فى الخندق خمسة عشر يوما.

وفى غزوة بنى قريظة خرج الرسول الى يهود المدينة ومعه ثلاثة آلاف لنقضهم العهد وإظهارهم العداوة يوم الأحزاب فحكم فيهم بأن يقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذرية والنساء فحفر لهم أخدود فى سوق المدينة وضربت أعناقهم وكانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة .

ولقد كان من تشريع هذا العام (الحجاب) .

فرض الله سبحانه وتعالى الحجاب على النساء فى هذا العام بعد أن انتشرت الفاحشة بين العرب فلا عاصم لرجل أو لامرأة من الانحراف .

ولقد كان عمر بن الخطاب يحب الحجاب ويذكره كثيرا

.. ولقد نزلت آيات فيه خاصة بنساء الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فنزل قوله تعالى : " **وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن** " (١) .

وفى تلك السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ابنة عمته بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة الذى كان النبى قد تبناه وقد أمره الله أن يتزوجها إبطالا لعادة التبنى فلا تبنى فى الاسلام ولقد تزوج الرسول زينب بنت جحش والتى كان رسول الله قد زوجها لزيد بن الحارث فلم يطق بن الحارث معاشرتها فطلقها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقب بعدها زيد بابن الحارث بعد أن كان يلقب بزيد ابن محمد لأن شريعة الله لا تسمح بزواج الأب بزوجة ابنه وبهذا أبطل الله سبحانه وتعالى عادة التبنى فى الإسلام فلم يكن زيد ابنا لمحمد .

ونزلت فى ذلك الآية الكريمة " **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما** " .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٣ .

فى تلك السنة فرض الله الحج على المسلمين على من استطاع إليه سبيلا .

ويجتمع فى الحج المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف البلاد واللغات والأجناس فى مكان واحد ليتوجهوا الى الله عز وجل بالدعاء ليؤيدهم بنصره .

﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾ .

وفى السنة السادسة وقعت غزوة بنى لحيان كذلك وقعت غزوة الغابة ثم غزوة الحديبية التى بركت فيها ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم زجرها فوثبت ونزل الرسول بأقصى الحديبية فلقد اشتد الشوق بالمسلمين الى مكة المكرمة ولكن قريشا كانت تمنعهم من ذلك ولو كان المسلمون قد حاربوا فى هذه الموقعة لانتصروا لكنهم أرادوا أن يحفظوا حرمات البيت فكف الله تعالى أيدى المسلمين عن قريش وكف أيدى قريش عن المسلمين فكان صلح الحديبية المعروف .

وكانت شروط الصلح :

١- أن توضع الحرب بينهم عشر سنوات .

٢- أن يؤمن بعضهم بعضا .

٣- أن يرجع النبى والمسلمون عنهم عامهم هذا .

٤- وألا يأتيه منهم رجل وإن كان على دين الإسلام إلا رده إليهم وألا يردوا إليه من جاءهم من عنده .

٥- من أراد أن يدخل عهد محمد من غير قريش دخل فيه ، ومن أراد الدخول فى عهد قريش دخل فيه .

ولقد تمت بيعة الرضوان فى هذه الغزوة وهى أن كتب رسول الله صلح الحديبية فى كتاب وأرسله مع عثمان بن عفان وجماعة من المسلمين فشاع أنه قتل فلما علم الرسول دعا الناس الى البيعة تحت الشجرة على الموت وهى الشجرة المعروفة بشجرة الرضوان ، فلما علمت قريش بذلك خافوا وبعثوا بعثمان وصحبه .

فنزل قوله تعالى ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم** "، وقوله تعالى " **لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ". وفى هذه الغزوة نزلت سورة الفتح قوله تعالى : ﴿**إنا فتحنا لك فتحا مبينا** ﴾ .

وفى تلك السنة وبعد رجوع المسلمين من الحديبية أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك يدعوهم إلى الاسلام .

اتخذ الرسول خاتما من الفضة فيه (محمد رسول الله) . فأرسل كتابا الى قيصر ملك الروم ، وكتابا الى أمير بصرى ، وكتابا إلى أمير دمشق وكتابا إلى المقوقس أمير مصر ، وكتابا إلى النجاشى ملك الحبشة وكتابا إلى كسرى ملك الفرس وعندما أخذه مزقه استكبارا ، وكتابا الى المنذر بن سارى ملك البحرين فأسلم وكتابا الى هوذه بن على ملك اليمامة .

وفى السنة السابعة وقعت غزوة خيبر ، وهى مدينة تقع بالقرب من الشام وأهلها كانوا أعظم مهيج للأحزاب يوم الخندق .

خرج إليهم الرسول وحاصرهم المسلمون ستة أيام فلم ينجحوا فما كانت الليلة السابعة وهى ليلة الفتح حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم راية الاسلام إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه وفتحها الله على يده وغنم المسلمون منها غنائم عظيمة .

وفى تلك السنة فتحت " **فدك** " وكانت غزوة وادى القرى صالح الرسول أهل فدك وكانوا يهودا كما صالح أهل " **تيماء** " وهى قرية بالمدينة ولقد دفعوا الجزية وكانوا أيضا من اليهود .

كذلك وقعت فيها غزوة (**وادى القرى**) التى غنم منها المسلمون الكثير وفى تلك السنة كانت عمرة القضاء فلقد اعتمر الرسول وأصحابه فى مكة وأقاموا بها ثلاثة أيام .

وفى تلك السنة السادسة . أسلم خالد بن الوليد ، وعمرو ابن العاص وعثمان بن أبى طلحة . بعد أن كانوا قادة الجيوش المعادية للمسلمين . فان ينصركم الله فلا غالب لكم .

وبذلك أسلم رؤساء القبائل المعادية للإسلام .

وتزوج صلى الله عليه وسلم فى هذه السنة صفية بنت حيى بن أخطب سيد بنى النضير ، وكانت فى السبى يوم خيبر .

ثم تزوج ميمونة بنت الحارث زوج عمه حمزة شهيد أحد وهى آخر نسائه زواجا .

وفى السنة الثامنة الهجرية كانت واقعة " **مؤته** " وكان

يقودها خالد بن الوليد الذى قتل فيها من الأعداء عددا كبيرا وأصاب الغنائم وخلص جيش المسلمين من أعدائه فلقد كان الجيش ذاهبا للقصاص لرسول قد بعث به محمد صلى الله عليه وسلم إلى أمير بصرى فقتل الرسول الذى بعث به صلى الله عليه وسلم فى مؤته فكانت الحرب ورجع المسلمون الى المدينة .

وقد أثنى النبى عليه الصلاة والسلام على خالد بن الوليد.

فتح مكة المكرمة

فى العام الثامن للهجرة .

كان أمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو انتشار الاسلام خارج الجزيرة العربية .

كما كان صلى الله عليه وسلم يتطلع الى مكة فى شوق ولهفة الى يوم الفتح العظيم .. ولكن كيف له بذلك وهناك عهد بينه وبين قريش ألا وهو صلح الحديبية .. حتى كان ذلك اليوم الذى ضرب فيه رجل خزاعى رجلا بكريا لأن الخزاعى سمع البكرى يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزم بنو بكر على محاربة خزاعة وطلبوا النجدة من قريش فأعانتهم سرا

فدهموا خزاعة وقتلوا منهم ما يزيد علــى العشـرين . فلمـا علـم رسول الله بـأمر نقـض قريـش لعهدهـا عـرج الرسـول بجيشـه وكان عشرة آلاف مجاهد ، وكـان فـى شـهر رمضــان المعظـم وفى الطريق قابله أبو سفيان بن الحارث بــن عبـد المطلـب بـن عم الرسول وأخوه فى الرضاعة فأسلم وكان معـه ولـده جعفـر فأسلم ، وأسلم أيضا أبو سفيان بن حرب وهم فى الطريق .

سار الرسول ومن معه ، ثم أرسل خـالدا بـن الوليـد إلـى مكة من أعلاها هو ومــن معـه ودخـل رسـول اللــه مـن أسـفلها وأمر الرسول خالدا ألا يقاتل إلا من قاتلــه .. اندفـع خـالد نحـو رجال قريش فقاتلهم وهزمهم ..

أمـن الرسـول أهل مكـة ونـادى منـاد بـأمره " مـن دخـل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن " ثم طهر صلى الله عليه وسلم الكعبة من آلهتهـا الزائفة فأخرجها من البيت .

طـهر الله الكعبـة المشـرفة مـن آلهتهـا الزائفـة واسـتبدلها بعبادة إله واحد لا شريك له بعبادة الله تعالى وحــده . ثـم دخـل الرسول الكعبة وكبر فى نواحيها .. ثـم قـام الـى مقـام إبراهيـم وصلى فيه ، ثم شرب من زمزم . ثم جلس بالمسجد وقام فيهـم خطيبا ثم قال :

" يأيها الناس : إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماء ، أو يعضد (يقطع) بها شجرة فإن أحد ترخص فيها لقتال رسول الله فقولوا : إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أحلت لى ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب " .

ثم قال : " يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء " أى : الذين أطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا . ثم أخذ الناس يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ولقد أسلم فى هذا اليوم معاوية بن أبى سفيان وأبو قحافة والد أبى بكر الصديق .

ولما بايع الرجال الرسول صلى الله عليه وسلم بايعه النساء ثم أمر بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة فأذن .

ثم هدمت أصنام القبائل ، هدمت العزى أعظم أصنام قريش ثم هدمت سواع ، وهدمت مناه وهكذا استطاع المسلمون الأوائل أن ينشروا نور الاسلام فى مشارق الأرض ومغاربها

حتى وصل حدود الصين شرقا وجبال البرانس غربا بفضل إيمانهم الحق وقلوبهم الطاهرة .

زوجات الرسول

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من تسع زوجات ولقد كانت معظم هذه الزيجات تتم لأسباب سياسية أو إنسانية تتصل بالدعوة الاسلامية .

ولقد تزوج صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة وهو فى الخامسة والعشرين وهى فى سن الأربعين .. ولم يتزوج عليها طيلة حياتها أبدا حتى ماتت فى الخامسة والستين من عمرها وهو صلى الله عليه وسلم قد تعدى الخمسين من عمره .

وهذا يعنى أن الرسول حينما ماتت خديجة لم يكن فى سن تسمح له بزيجات أخرى اللهم إلا لأمور كانت تختص بها الدعوة الإسلامية .

فلقد كان لكل زواج للنبى صلوات الله وسلامه عليه قصة

- فكانت قصة زواجه بعائشة وهى الصغيرة المدللة أنه

أراد الإرتباط بوالدها أبى بكر .

– كذلك حفصة ، فلم تكن جميلة فلقد تزوجها إرتباطا بعمر فكانت إبنته .

– ثم تزوج من أم سلمة أرملة قائده الذى استشهد فى سبيل الله .

– ثم زواجه من (سودة) إكراما لإسلامها ووحدتها فى الحياة ، فلقد كانت وحيدة فى عيشها .

– وقصة زواجه من زينب بنت جحش والتى سبق أن أشرنا اليها تمت لتحريم عادة التبنى فى الإسلام . بعد أن طلقها زيد بن حارثة .

– ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بعد أن مات زوجها وتركها وحيدة كما تزوجها لنبل موقفها من الإسلام ووقوفها فى وجه أبيها من أجل الاسلام .

– وتزوج من صفية بنت حيى ابنة ملك اليهود .

– ثم جويرية بنت الحارث ابنة زعيم قبيلة بنى المصطلق

– أما (مريم القبطية) فلقد كانت أمة بعث بها إليه المقوقس ولقد أنجبت له ابراهيم ، ولقد مات وهو رضيع .

– لقد أراد الله سبحانه وتعالى ألا يكون لمحمد صلى الله عليه وسلم أولادا ذكورا حتى لا يرثه إلا من آمن بالله ورسوله

حماية للرسالة المحمدية فإن ورثته من الرجال هم حملة راية الإسلام وحملة كتاب الله الكريم .

وفاة محمد صلى الله عليه وسلم

ولم يهدأ صراع قادة المسلمين حتى ظهرت الجزيرة العربية ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، فأنعم الله على الناس بدينه الاسلامى الحنيف ثم حج بهم النبى حجة الوداع فنزل عليه الوحى فى عرفات بقوله تعالى :

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ (١) .

تليت الآيات على أبى بكر فبكى بكاء شديدا وأحس أن مهمة حبيبه ورسوله محمد قد انتهت وأن الوحى قد جاء لينعى سيد المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم .

مرض رسول الله فما عادت قدماه تحتملاه .. شحب

---

(١) من الآية ٣ سورة المائدة مدنية .

وجهه .. ولكم احتمل حبيب الله لشتى ألوان العذاب .. والشقاء

اشتد بالرسول صلى الله عليه وسلم المرض فاستأذن نساءه أن يرقد ببيت عائشة ، ولما تعذر عليه الصلاة قال :

" **مروا أبا بكر فليصل بالناس** " ثم خرج الرسول متوكئا على علي والفضل . وتقدم العباس أمامهم ، والنبي معصوب الرأس يخط برجله (١) ، حتى جلس في أسفل مرقاة المنبر ، فسار إليه الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : **يأيها الناس ، بلغني أنكم تخافون موت نبيكم ، هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم ؟ ألا وإني لاحق بربي ، وإنكم لاحقون بي ، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا ، وأوصى المهاجرين فيما بينهم فإن الله تعالى يقول :**

" والعصر ، إن الانسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " . وإن الأمور تجرى بإذن الله ، ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله ، فإن الله ــ عز وجل ــ لا يعجل بعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ، ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم " أن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم " وأوصيكم بالأنصار خيرا ، فإنهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم :

---

(١) يخط برجله أى لا يستطيع أن يثنيها على الأرض .

ان تحسنوا إليهم . ألم يشاطروكم فى الثمار ؟ . ألم يوسعوا لكم فى الدار ؟ . ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة . ألا فمن ولى أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم ، وليتجاوز عن مسيئهم . ألا ولا تستأثروا عليهم إلا وأنى فرط لكم وأنتم لاحقون بى ، الا فأن موعدكم الحوض ، الا فمن أحب أن يرده على فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغى .

وفى يوم الاثنين ، الثانى عشر من ربيع الأول ، الذى أتم عشر سنين للهجرة فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم دنياه ، ولحق بمولاه اختار الرفيق الأعلى على زهرة الحياة الدنيا . بعد أن أدى الأمانة حق أدائها ، وهدى الناس الى الطريق المستقيم ودعاهم الى الله العظيم .

إن ألسنة الكون كلها تنطق له بالشكر والثناء عليه .

ولقد خلص العالم من الضلال والفجور وفساد الأخلاق ولما علم المسلمون بنبأ وفاة الرسول اشتد الهول ورفع عمر بن الخطاب سيفه لمن يقول إن رسول الله قد مات ولما دخل عليه أبو بكر فى بيت عائشة فكشف عن وجهه الكريم الحجاب قبله وبكى ـ ثم خرج . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

إن من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت .

ثم تلى قوله تعالى " إنك ميت وإنهم ميتون ــ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين " .

" صدق الله العظيم "

انتهى بحمد الله وتوفيقه

مراجع الكتاب

١- القرآن الكريم .

٢- تفسير ابن كثير .

٣- تفسير القرآن الحكيم لمحمد عبده .

٤- تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبى .

٥- قصص الأنبياء للأمام بن كثير .

٦- قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار .

٧- محمد والذين آمنوا معه لعبد الحميد جوده السحار .

٨- حياة محمد لمحمد حسين هيكل .

٩- محمد رسول الحرية لعبد الرحمن الشرقاوى .

١٠- عبقرية المسيح للعقاد .

١١- محمد رسول الله لأحمد تيمور .

١٢- أنبياء الله لأحمد بهجت .

١٣- الرسول صلى الله عليه وسلم للدكتور عبد الحليم محمود .

١٤- الاسراء والمعراج للشيخ محمد متولى الشعراوى .

١٥- معجزة القرآن للشيخ محمد متولى الشعراوى .

١٦- محمد نبى البر لإبراهيم الإبيارى .

١٧- الأنبياء فى القرآن الكريم محمود الشرقاوى .

فهرس

النسر الذهبي
للطباعة
يسري حسن اسماعيل
شارع عبد العزيز - الهدارة ٢ عابدين
ت ٣٩١٠٠٧٥